مغامرات

أرسين لوبين

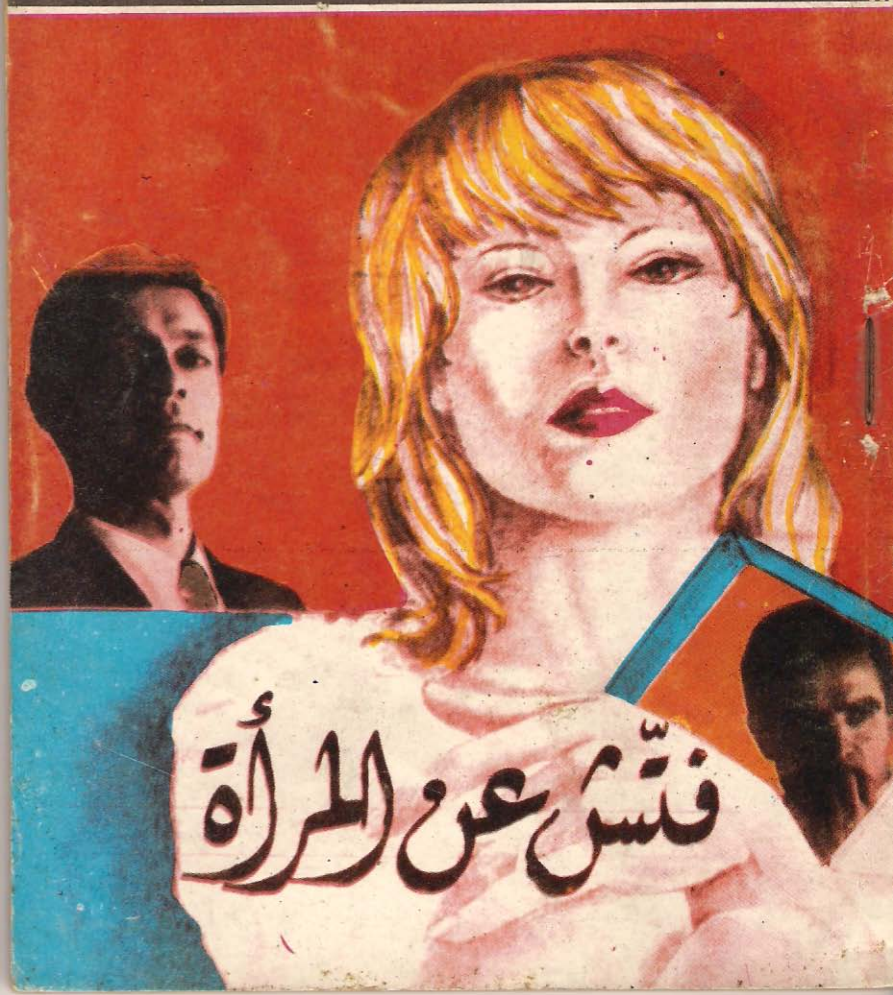

فتّش عن المرأة

الفصـــل الأول

كانت الحرارة لا تطاق وصـحراء كاليفورنيا كأنهـا قطعة من الجحيـم ورغـم ذلك كانت سـيارة أرسـين لوبين تنهب الارض بأقصى سـرعتها لتصـل الى « ينابيع النخيل » قبل ان يمعن الليل فى ظلمتـه . وتبدت له الانوار الساطعة من فندق الينابيع فهـدأ من سرعته ثم أوقف السيارة أمام باب ذلك الفندق الصـغير الذى يعد من أفخم فنادق تلك البقعة النائية .

وهبط لوبين مخدر الاعصاب منهوك القوى بعد رحيل عشر ساعات بين رياح الصيف اللافحة وعواصفه الكاوية . وتطلع الى ساعته فوجدها قد تعدت منتصف الليل بعشرين دقيقة . ولكنه حمد الله لانه بلغ مقصده قبل ان تطفأ الانوار ويغلق الفندق أبوابه . وكان الجوع قد أمض امعاءه فمضى الى احدى الموائد الصـغيرة المنبثقة فى الردهـة الخارجيـة وأسرع يطلب قدحا من القهوة الممزوجة بالبن . وتطلعت اليه الساقية الشقراء لحظة ثم همست الى زميلتها ضاحكة :

ـ يخيل لى أنه كلارك جابل !

فاجابتها الاخرى وهى ترنو اليه : أنه أشبه بسبنسر تراسى !

وصاح بهما لوبين وهو يشعل لفافة من التبغ :

ـ اتركا هـذا النقاش لوقت آخر . هاتى يا حسنائى الشقراء قهوتى واذهبى انت ايتها الظبية الكستنائية واعدى لى طبقا من اللحم المقدد .

فانفجرت الفتاتان ضاحكتين واقتربت منه الشقراء تسأله :

ـ أظنك لم تأت من قبل الى هذه المقاطعة !

فأجابها باسما وقد نسى القهوة أمام نظراتها الحالمة :

ـ أجل يا صغيرتى . جئت من المكسيك ابحث عن صديق لى يدعى جيروم .. جيروم سيجر . فقد ترك له بعض اقاربه « خميرة » طيبة يسيل لها لعابه . أتعرفين هذا الرجل ؟

ـ أظننى أعرفه . وكثيرا ما أراه هنا مع العمة آنى .. صه . صه . ها هى ذى .

وتلفت لوبين حوله فشاهد سيدة بدينة ترتدى ثوبا أنيقا من الحرير وتنتعل حذاء خفيفا مما يلبس فى الجهات الصحراوية والبقاع الرملية . وأسرعت تجلس الى المائدة .

ثم رنت اليه لحظة وصاحت فى صوت مخمور : من تكون يا هذا ؟

رأى لوبين ان الفرصة قد واتته بأسرع مما كان ينتظر فبادر يجيبها :

أنا ؟ . أنا رجل يعبد الجمال ! . اصغى الى يا سيدتى . بلغنى من هذه الفتاة انك تعرفين صديقى جيروم سيجر ويسرنى ان أعلم أين هو الآن لأزف اليه ان قريبا له قد ترك له ميراثا طيبا .

قدمدمت المرأة البدينة وهى تفتح صندوقا صغيرا للسعوط :

ـ سعيت حتى قبلوه فى فندق ميراندا .

ـ وأين فندق ميراندا هذا ؟

ـ اخترق المدينة الى أن تبلغ محطة البنزين ثم خذ طريق الصحراء تجد الفندق الى يمنيك بعد ثلاثين ميلا .

ـ شكرا يا سيدتى .

وراح يلتهم طعامه ثم أسرع الى سيارته يقطع الصحراء التى مازالت تلفح وجهها الرياح الحارة رغم اعتكار الليل ، الى أن شاهد أنوار فندق عن يمينه وتناهت الى أذنيه أصوات موسيقى شرقية توقع على القيثارة . وتلفت لوبين حر له ليجد مكانا يترك فيه سيارته فلم يجد سوى جدار من الطين أشبه بما يبنى عادة فى المدن التى امتدت اليها ويلات الحرب ليحفظ منافذ المنازل والدور من شظايا القنابل المتفجرة !! أما وهذا الجدار من الطين فهو لا يمنع سوى ثثار الرياح الرملية التى لا تهدأ فى تلك البقاع الصحراوية .

ودلف من الباب الخارجى فوجد بهوا كبيرا على الطراز المكسيكى يحجبه عن الانظار المتطفلة ستار كثيف . وعجب لوبين لفخامة الفندق المشيد فى تلك الجهة الصحراوية النائية والمغطاة أرضه بألواح الخشب على منوال الفنادق الامريكية فى نيويورك وشنغهاى ! وفى الصدر أقيم (بار) كبير الى جانبه درج يؤدى الى غرفة تمتد ناحية اليمين الى

شرفة خشبية كبيرة تطوف بالبهو الا من جانب واحد الى اليسار حيث شاهد عدة نوافذ تمتد من الارض الى السقف وتغطيها أسلاك كبيرة ، ورأى بين الموائد مساحة كبيرة صقلت ولمعت لتكون بلا شك (صالة) للرقص الذى لا ينتهى فى تلك الفنادق قبل انتصاف الليل عادة . ولدهشته رأى الفرقة العازفة لا تزال تشغل أماكنها كأنما لا ينفض رواد هذا الفندق قبل مطلع النهار . وكانت الفرقة مكونة من أربعة شبان يرتدون ملابس أسبانية ويتلطعون الى خمسة رجال يجرعون الخمر وقد وقفوا أمام (البار) فى ملابس الرعاة .

وارتفعت فوق رأس لوبين جلجلة ضحكات مدوية من الشرفة العالية بينما رأى الموائد جماعة يتبادل كل فريق منها أطراف الحديث . وعجب لانه لم يشاهد امام الفندق أثر لسيارات أو عربات ولكنه ما لبث ان ارجع ذلك الى أن هناك حظيرة لم يستطع أن يراها عند مقدمته .

وعندما اتخذ مكانه الى احدى الموائد جاءه شاب هزيل يسأله ماذا يطلب فسأله أن يجيئه بكأس من الويسكى وبعض البيض ثم راح يتفرس فى الموجودين . وسرعان ما عزفت الموسيقى وقامت امرأة فى نهاية الحلقة الخامسة من عمرها لترقص شابا فى عمر أصغر ابنائها ! وارتفعت الضحكات عندما شوهد يدور بها ويحاول ان يرهقها فادرك لوبين ان هذا الشاب لا يعدو ان يكون راقصا مأجورا يؤمل من لا تجد لها صديقا أو من لم تتقن بعد فن المراقصة .

وانتهى العزف وشاهدهما يتجهان الى مائدة تتوسطها زجاجة من الشمبانيا . واذ ذاك هبط من الغرفة العليا رجل بادى الاناقة يرتدى قميصا من الحرير وسروالا من المخمل الاسود ، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة ولمح لوبين فيمر نحوه على الفور ثم قال :

— طابت ليلتك يا سنيور . يسرنى ان تشرف فندق ميراندا .

فأجابه لوبين : شكرا .

واستطرد الرجل : اغلب الظن انك لست من هذه الجهات يا سنيور . ومن حسن الحظ ان وجدت الفندق مفتوحا الى هذه الساعة . انها الآن الثالثة ولكننا نقيم الليلة حفلا خاصا . ارجو ان تسعدنا بزيارتك مرات ومرات .

وكان الساقى قد جاء بالوسكى فطلب لوبين الى الرجل الانيق ان يشاطره الشراب فابتسم وقال : انا بريرا مدير الفندق وسترى أنه مكان جميل .

— حسنا . وارجوا ان أعاود زيارتى أثناء اقامتى القصيرة بهذه الجهة .

وعزفت الموسيقى مرة اخرى . ولم ينهض للرقص غير تلك العجوز المتصابية وزميلها الشاب . ولاحظ لوبين انها لا تقوى على تأدية هذه (الرومبا) التى تحتاج الى خفة الشباب وقوته ولكنها تغالب وتتحامل حتى تبدو

خلبية نشطة ، فلم يقو على كبت سخريته وتمتم : يا لها من مهزلة .

وكان زميلها حاد السمع فتوقف لتوه عن الرقص ثم قاد السيدة الى المائدة ليعود الى لوبين صائحا : ماذا قلت ؟

وفوجىء به لوبين وهو يركله فى ساقه ثم يلكمه فى أنفه فقام كالعاصفة الهوجاء وقد استبد به الخنق فجمع قبضته واهوى بها على رأس مهاجمه . وكان الشاب يجيد بعض الحيل اليابانية فاستطاع أن يتجنب ضربة لوبين ثم لف ساقيه حول ركبتيه . وهوى الاثنان يتدحرجان على الارض . ولكن لوبين لم يلبث ان انشب أصابعه فى رقبة الشاب حتى كاد يخنقه . واذ ذاك أسرع مدير الفندق فرفعه عن غريمه وهو يقول :

— آسف يا سنيور لانك تعتدى هكذا على رجالى كما آسف اذا كان قد نالك بعض الاذى .

وراح ينفض للوبين ثوبه وهو يقول :

— ان هذا المكان الهادىء لا يرحب بمناظر الشجار مهما كانت الاسباب .

فابتسم لوبين وقال معتذرا : الحق اننى اهنته بلا مبرر فاذهب اليه واخبره باسفى ثم ادعه ليتناول معى بعض الشراب . أيرضيك هذا ؟

— شكرا . شكرا .

وذهب بريرا الى الشاب يتحدث اليه ثم ما لبث

الشاب ان نهض عن مقعده واتجه نحو مائدة لوبين الذى نهض للقائه وهو يقول فى صوت مرتفع : ارجو ان تحمل كلمتى على المداعبة البريئة . اجلس يا عزيزى واشرب معى نخب هذا التعارف ثم مد يده الى الشاب فتصافحا وجلسا يتحادثان .. وابتدره لوبين : كيف حالك يا جيروم؟

— بخير يا سيدى وان كنت لم اجد سبيلا الى بلوغ هذا المكان غير العمل المرهق كزميل راقص .

— وماذا وصلت اليه ؟

— تقام فى الدور العلوى ألعاب الورق والمكسب دائما من نصيب زمرة من المحتالين يرأسها بريرا مدير الفندق . أما الرجل الجالس فى الركن فهو رئيس عصبة تتجر فى المخدرات .

— لقد جئت مدعيا بأن أحد أقربائك قد ترك لك خميرة طيبة وبذلك تستطيع ان تغادر هذه المقاطعة . أما أنا فسأظل هنا حوالى أسبوع ما لم يستجد شىء . أين هنريتا ؟

— بالدور العلوى هنا . ولكن بريرا يتناسى انها صاحبة الفندق ويفرض عليها ارادته .

— أتعنى أنها ما زالت تقيم فى هذا الفندق ؟

— كلا . وانما فى مزرعة قريبة على مسيرة عشرة أميال . بجانب البحيرة الجافة . فى أول منزل الى اليسار .

— اصغ الى . سأذهب بعد دقيقتين الى تلك المزرعة اما انت فعليك أن تعلن خبر ميراثك وضرورة رحيلك فى

القد الى المكسيك . وفى الصباح أعدد حقائبك ومر فى طريقك بفندق الينابيع ثم أعلن فيه كذلك انك مسافر الى المكسيك . واذ ذاك أذهب الى الحدود فى سيارة خاصة وهناك اخفها فى احد الفنادق وعد بالطائرة الى نيويورك ثم أبلغ صاحب البنك اننى وصلت الى هنا ، أفهمت ؟

— فهمت ولكننى أخشى ان تظل هنا وحدك اذ يخيل لى أنهم يتشككون فى أمرى وفى اننى لم اجىء الى هذا الفندق لمجرد العمل كزميل للراقصين .

— الشك لا يؤذى يا صاحبى . الى اللقاء .

وتصافح الرجلان مرة ثانية ثم دعا لوبين الساقى ودفع جميع الحساب . وفى اللحظة التالية كان يطوى بسيارته الاميال العشرة الى البحيرة الجافة . وهناك وجد المزرعة التى حدثه عنها جيروم وان كانت فى ظلام دامس وخالية من أى امارة من امارات الحياة . فدار لوبين حول منزل هنريتا بعد ان ترك سيارته تحت شجرة باسقة ثم راح يطرق الباب دون أن يجيبه انسان .

ولم يجد سبيلا الى الدخول بغير الاستعانة باحدى أدواته الفولاذية فلم يلبث الباب ان انفتح بعد دقيقتين . واخرج مشعله الكهربائى ثم مضى الى ممر يؤدى الى ردهه أمامية وأبواب على كلا الجانبين . ووجد فى نهاية ذلك الممر بعض درجات الى اليمين تؤدى الى طابق علوى يحتوى على أربع غرف للنوم أحداها مغلقة . ولكنها لم تلبث ان فتحت بعد دقيقة واحدة لان قفلها لم يكن ليأخذ من أرسين

لوبين اكثر من محاولة صغيرة بمفتاحه الذى يسميه العنكبوت .

وتألقت أساريره عندما شاهد نفسه فى الغرفة التى جاء من أجلها فأسرع يسدل ستائرها ثم اشعل مصباحه الكهربائى ثانية ومضى يتطلع حواليه حتى رأى كوما من الكتب على مائدة صغيرة فراح يقلب صحائفها على عجل . وأخيرا وجد كتابا قطعت منه خمسون ورقة والصقت فى مكانها حزمة من الرسائل . ولم يلبث أن قرأ على مظروف احداها « جرانوارث آدم . عمارة كلاريبل بنيويورك » فأسرع يضعها فى جيبه ثم رد الكتب الى مكانها وخرج بعد ان أغلق الابواب خلفه كما كانت .

وعاد من نفس الطريق الذى جاء منه . وآثر ان يعرج على فندق ميراندا قبل ان يرجع الى ينابيع النخيل ليرى هل انتهى زواره من اللعب وهل أووا فى هذه الساعة الى مضاجعهم . ولم تنقض عشرون دقيقة حتى بلغ الفندق ليجده ملفوفا فى الظلام الا من بصيص يلوح من نوافذ الطابق العلوى . وآثر أن يدخل خفية من احدى النوافذ التى تغطيها شبكة من الاسلاك ثم تسلل الى الدرج .. وهناك استطاع ان يرى على ضوء القمر المنحدر من النافذة شيئا جعل العرق يتصبب من جبينه . شاهد على الارض حبلا فضيا كان يزين قميص جيروم ! وكانت ملتصقة به قطعه من حرير القميص مما يدل على أنه انتزع انتزاعا ! ولمح وراء « البار » بابا صغيرا فأراد ان يعالجه بمفتاحه « العنكبوت »

ليرى الى أى ناحية يؤدى . ولكنه وجده على مخزن مملوء بصناديق النبيذ والويسكى وحولها بعض القارورات الفارغة ثم صندوقان كبيران لحفظ الثلج ، واستيد بلوبين حب الاستطلاع الذى لا يفارقه ففتح أولهما ووجده حاشدا بأكياس فارغة . ثم فتح الثانى فاذا به يرى جثة جيروم محشورة فى أحد الاكياس ومصابة فى عدة مواضع بطلقات نارية قاتلة ، وكانت الاصابات تدل على أنه ضرب وهو يحاول الافلات لان اصابتين منها كانتا فى ساقيه وثلاثا أخرى كانت فى احشائه وقد اطلقت من مسافة أقرب .

فلم يسع لوبين سوى ان رد الجثة الى مكانها ثم أغلق عليها الصندوق كما كان ، وعاد الى سيارته ليسرع الى ينابيع النخيل .

الفصل الثانى

ولما بلغ الشارع الرئيسى أوقف السيارة تحت المصابيح وأخرج من جيبه الرسائل فوجدها ثلاثا وكتابتها واضحة ظاهرة وبخط جميل يغرى بالتطلع اليه . وكانت أولى هذه الرسائل مؤرخه فى ٣ يناير ومكتوبة من هنريتا بفندق فى هارتفورد الى زوجها جرانوارث . وجاء بها :

عزيزى جرانوارث :

« أنا اعلم جيدا انك تظننى دائما امرأة بلهاء لا ترى أبعد من أنفها ولم أحاول من جانبى أن ألح فى أقناعك باننى امرأة لها نصيبها من الفطنة والذكاء ولكنك تماديت فى الشهرين الاخيرين فيما اثار شكوكى وريبتى واستغللت ما يتوهمه الناس من أننا أسعد واخلص زوجين على ظهر الارض ، فلم تتورع فى علاقتك بتلك المرأة . واذا كنت قد صدقتك فيما سبق عندما انكرت علاقتك بها فان ماحدث من يوم أو اثنين وما تلقينه من شخص يسمح له مركزه بمعرفة كل شىء .. كل هذا يؤكد لى انك تمعن فى الايمان ببلاهتى وبلاهة الآخرين .

« أنا لا أزال مسيطرة على مشاعرى ولكننى سئمت صراحة هذه الاعيب ففكر جيدا فيما أنت فاعله ثم دعنى أعلم بما قررته عند عودتى القريبة . هنريتا » .

وكان الخطاب الثانى من نفس الفندق بتاريخ ٨ يناير أى بعد خمسة أيام وقد جاء فيه : جوانوارث .

« تلقيت خطابك ولا أصدق كلمة واحدة منه لانك كاذب من الطراز السيء جدا فحذار ان يغلى مرجلى ، ولك رأسك بين كتفيك .. هنريتا » .

اما الخطاب الثالث فكان تاريخه ١٢ يناير ولم يكتب فى صدره غير كلمة « نيويورك » وجاء به سطر يوحى بالعاصفة التى تدوى فى صدر الزوجة المهانة :

« جرانوارث .. سأراك هذا المساء بعد ان ثار مرجلى هنريتا » .

واذ ذاك طوى لوبين الرسائل ودسها فى جيبه ثم اشعل لفافة وراح يحدث نفسه أثناء الطريق : كنت العقيدة السائدة ان هنريتا كانت فى هارتفورد عندما انتحر زوجها أما هذه الرسائل فتقطع بانه مات فى اليوم الذى اعتزمت فيه لقاءه وهى ثائرة كاللبؤة الضاربة ! ولكن لماذا تحتفظ هنريتا بهذه الرسائل ولماذا لم تحرقها ؟ ان هذه المرأة ليست كما يتوهمها الناس سيدة دمثة الاخلاق وادعة كالحمل وسأحملها على الكلام مادامت رسائلها فى قبضتى .

واخرج من جيبه مفكرة راح يبحث فيها عن عنوان رئيس الشرطة فى ذلك المكان ثم ما لبث ان انحدر الى يمينه وكان هناك بعد خمس دقائق . وفتح الباب بنفسه ثم قال: أانت مستر ميتس ؟

فاجابه رئيس الشرطة : نعم .. ماذا تريد ؟

ـ أنا ارتين لوكاس .

ـ تعالى يا صديقى . لقد سمعت من مستر جيمس

وولف ثناء عاطرا عليك . ويسرنى ان قبلت الحكومة ان تساهم بنصيبك فى أمر الوثائق المزيفة .

وقاده رئيس الشرطة الى غرفة أنيقة ، وأعجب لوبين بمخائل الذكاء المتألقة فى عينى هذا الامريكى . واطمأن الى أنه سيستريح الى العمل معه فقال :

ـ لا أحب يا صديقى ان أسبب لك متاعب بسبب تطفلى .

ـ أى متاعب يا مسيو ارتين ؟

ـ أنت تعلم اننى عرضت خدماتى على صديقى مستر جيمس وولف مدير بنك التعاون فى نيويورك لاكشف أمر الاوراق المالية المزيفة . ولذلك أسرعت ارسل أحد رجالى الى فندق ميراندا . وهناك استطاع ان يعمل كراقص . وقد جئته الليلة بحكاية ملفقة عن ميراث تركه له بعض أقاربه حتى تتسنى له فرصة العودة الى نيويورك ولكننى عندما عدت الى ذلك الفندق مرة ثانية وجدت الرجل مقتولا وقد حشرت جثته فى ثلاجة بالمخزن . ولما كانت هذه الحوادث من اختصاصك رأيت ان ابادر الى ابلاغك الامر وان كنت ارجوك ان ترجىء التحقيق بعض الوقت حتى لا ينتبه المزيفون الى أن يد العدالة على وشك ان تمسك بخناقهم .

ـ أنا معك فى وجوب التمهل قليلا يا مسيو ارتين . وهل قطع مستر جيمس بان الوثائق مزورة ؟

ـ هذا ما سمعته بعد ان قرأته فى الصحف . فقد حدثنى جيمس بنفسه ان هنريتا فتحت لها حسابا جاريا

بداته بألفى دولار ثم راحت تسحب منه حتى لم يبق لها غير عشرة دولارات . وفجأة .. وفى يوم واحد جاءته بأوراق مالية قيمتها خمسة آلاف دولار ليضيف قيمتها الى رصيدها فى البنك . ولكن مدير البنك — وهو أحد اصدقائى — مالبث ان تبين ان هذه الاوراق مزورة بطريقة ماهرة . فاسرع يحدث هنريتا ويسألها من أين جاءت بهذه الاوراق المزيفة ، ولكنها اخبرته مشدوهة أنها لاتفهم كيف حدث ذلك، ووعدته أن تزوره فى اليوم التالى . وقرأ المدير فى أساريرها انها لا تبالى شيئا ، فأفهمها أن الامر غاية فى الخطورة وانه لا سبيل الى خلاصها من تبعته بغير الاقرار بالمصدر الذى جاءت منه بهذه الاوراق . وبكل بساطة أخبرته انها عثرت عليها فى خزانة زوجها بين أوراق مالية أخرى تبلغ قيمتها مائتى الف دولار وانه كان قد اشتراها من نيويورك!

— الم يسألها المدير من أين اشترى زوجها هذه الاوراق ؟

— سألها بالطبع ، فكان جوابها انه اشتراها من أحد البنوك . فلما أخبرها أنه لا يمكن ان يصدق مخلوق حديثها لان البنوك لا تبيع أوراقا مزيفة ، هزت رأسها وقالت ان ذلك كل ما تعرفه . ولما طلب اليها ان ترسل اليه زوجها ليعرف منه أى بنك باعه تلك الاوراق ، ابتسمت وأجابته بالا سبيل الى سؤال زوجها لانه انتحر فى نيويورك فى ١٢ يناير من هذه السنة . وفى اليوم التالى جاءت الى البنك ومعها بقية الاوراق المزيفة .

— قصة عجيبة !

— واعجب منها ان تبدأ بحادث تزوير أو تزييف فتتشعب الى جرائم قتل وان يذهب أحد رجالى أول طعم لها

— أتظن ان هنريتا صادقة فى روايتها ؟

— الحقيقة اننى لم أقطع برأى الى الآن فى هذه القصة الشائقة التى تنحصر وقائعها فيما يلى : تزوج جرانوارث بزوجته منذ ست سنوات . وهو رجل مقامر مما جعل دخله بين جزر ومد . حتى اذا بلغ العام الماضى نهايته أصاب الرجل ربح مليون من الدولارات أودع منها خمسين ألفا فى البنك واشترى بمائتى دولار أوراقا مالية ليودعها خزانته . ثم دعا محاميه الى التليفون وأخبره بانه قد نقل المائتى الف دولار الى أموال زوجته الخاصة لانها سيدة مدبرة تستطيع ان تجعل من هذه الثروة خميرة طيبة للمستقبل بدل أن يظلا بين مد وجزر تحت رحمة المقمرة والرهان . وكانت دهشة المحامى بالغة عندما سمع هذا الحديث من جرانوارث ولكنه لم يكن يملك سوى تنفيذ ما أراده فأثبت هذا التنازل شرعيا ثم سلم الاوراق للزوجة.

وفى تلك الاثناء كان الزوج سعيدا بان رصيده فى البنك خمسون ألف دولار وليس عليه دولار واحد لانسان . ثم ما لبث أن فكر فى ان يؤمن على حياته فى احدى الشركات فاختار شركة النجوم وابدى استعداده لان يدفع ثلاثين ألف دولار دفعة أولى ولكن الشركة اشترطت عليه الا يكون لورثته حق فى التأمين اذا قدم على الانتحار . وذلك لانها

علمت أنه من عامين حاول ان ينتحر فألقى نفسه فى المحيط لولا أن أنقذه بعض البحارة رغم أنفه . والذى يهم من هذه الواقعة أن أطباء الشركة كشفوا عليه واطمأنوا الى أنه يتمتع بصحة جيدة من جميع الوجوه وذلك قبل حادث الانتحار ببضعة شهور . فاذا اضفنا الى هذا رصيده بالبنك والاوراق المالية التى وهبها لزوجته لم نجد مايدفعه الى الانتحار !!

وفى مساء ١٢ يناير تأخر فى عمله مع سكرتيره « باردیل » وكانت زوجته فى هارتفورد ولديه موعد مع جمع من أصدقائه وقد سمعت من هذا السكرتير أنه كان ثائرا لشىء لم يفصح عنه ثم ما لبث فى الساعة الثامنة أن طلب سيارته من « الجراج » ثم شرب عدة كؤوس من الخمر قبل ان يغادر مكتبه . وفى الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة شاهده حارس الميناء يسوق عربته الى رصيف للقطن ثم يرتطم بالحاجز الخشبى فيحطمه ويهوى بالسيارة الى قاع النهر . وفى الصباح التالى وجدت السيارة وعثر على الجثة مهشمة فاستدعى السكرتير ليتعرف عليها . وقد استبدت الدهشة بالزوجة عند عودتها من هارتفورد وعثر فى جيب المنتحر على ورقة خط عليها حبه لزوجته وأسفه لاقدامه على الانتحار . ومن عجب ان تترك الزوجة للسكرتير باردیل مكتب زوجها بدعوى أن تلك كانت أمنية الرجل ثم لا تلبث ان تنتقل الى فندق ميراندا الذى كان ملك زوجها يوما ما ثم أجر الى بريرا منذ عامين كأنما لا تجد مكانا آخر

تقضى فيه أيام الصيف . ولكن وجه العجب قد زال الآن بعد ان قتل جيروم فى الفندق لانه كان مسئولا عن مراقبة هنريتا وتتبع حركاتها وسكناتها .

وصمت لوبين ليشعل لفافة من التبغ فحك رئيس الشرطة صلعته وقال :

— الا يجوز ان تكون هذه الاوراق المالية المزورة قد دست على الزوجة بعد ان سرقت منها الاوراق الحقيقية؟

فأجابه لوبين : ربما . ومما أعجب له اننى لم أكد أتولى هذه القضية حتى جاءتنى فى اليوم التالى رسالة غير ممضاه يقول فيها كاتبها ان من دواعى طرافة هذه القضية ان يعثر المحقق على خطابات شائقة تحتفظ بها الزوجة معها فى ينابيع النخيل . فلما ذهبت الى هناك كانت هنريتا قد انتقلت من فندق ميراندا الى « عزبة » مجاورة . ولم تكن فى تلك الساعة فى دارها بل كانت لاتزال تقامر بالطابق العلوى من الفندق فتسللت الى مخدعها وعثرت فيه على الرسائل التى تدل على أن الزوجة قد دبت الغيرة فى قلبها دبيبها الموحش وانها عادت فى ١٢ يناير لتحاسب رجلها حسابا عسيرا .

فصفر رئيس شرطة بشفتيه وأردف :

— وهكذا يجوز القول بان الزوجة قد قتلت زوجها ثم ركبت بجثته الى الميناء وهناك هبطت من السيارة ثم اطلقتها الى حافة النهر .

— الا يجوز انها قتلته عندما كشفت تزويره للاوراق المالية التى أودعها الخزانة ؟

— اذا كانت قد كشفت عن تزويرها فكيف تجرؤ على تقديمها الى البنك وكان فى وسعها ان تحاول ذلك مع أفراد عاديين ؟

— الحق أنها قضية معقدة ! وماذا تنوى أن تفعله الآن ؟

— سأذهب فى مساء الغد الى فندق ميراندا وسأحاول ان اتصل بهنريتا وان انتزع منها الحقيقة . وسيكون اسمى هناك سيلبى فروم من مجدالينا فى المكسيك . اما الآن فسأسرع الى الينابيع .

وانطلق لوبين فى سيارته الى فندق الينابيع ليقرأ الخطابات مرة أخرى ثم يسلم عينيه لنوم عميق .

الفصل الثالث

وأفاق بعد ظهر اليوم التالى وبادر الى مكتب التلغراف حيث أبرق الى ادارة البوليس السرى فى نيويورك يطلبه قائمة بأسماء الخدم الذين كانوا يشتغلون بمنزل جرانوارث عندما انتحر وأين يعملون الآن ، ثم ذهب الى مطعم ليتناول غذاءه . وراح اثناء ذلك يقلب وجوه الفكر فى أمر هذه الاوراق الزائفة ويفرض لذلك عدة احتمالات ، منها ان يكون أحد قد توصل الى الاوراق الاصلية فانتزعها ووضع فى مكانها تلك الاوراق المزيفة دون ان يعلم الزوج ، أو لعلها سرقت بعد انتحار الزوج أو لعل الزوج نفسه قد زورها لامر فى نفسه قبل أن ينتحر أو يقتل . فأين اذن الاوراق الاصلية ؟ ولا يبعد كذلك أن تكون هناك صلة بين تزييف هذه الاوراق ومصرع الزوج . ومما يزيد الامر تعقيدا ان مستر باردیل سكرتين القتيل ، وكذلك الخدم جميعا، شهدوا بان الزوجة كانت فى هارتفورد الى بعد حادث الانتحار ، وانها لم تعد الا عندما أبرق اليها (باردیل) بالحادث فجاءت لتحضر موكب الجناز .

وانتقال تفكير لوبين الى مساعده الجديد جيروم الذى لقى حتفه على تلك الصورة الرهيبة وعجب كيف عرفت العلاقة بينه وبين رجال الامن ! وخيل للوبين أن هناك شخصا بعيدا يتصل بهذه العصابة من نيويورك ويكشف لها حركات لوبين ورجال البوليس السرى حتى يأخذوا حذرهم .

ولا شك أن جيروم المسكين كان باحدى الغرف المؤدية الى الشرفة العالية عندما أطلق أحدهم رصاصة على احشائه . ويظهر ان جيروم لم يكن يحمل فى تلك اللحظة غدارته فلم يجد أمامه سبيلا الى النجاة بحياته سوى ان يثب على الدرج . ولكن القاتل اتكأ على افريز الشرفة وعاجله برصاصتان أطلقهما على ساقيه فسقط على الدرج ، ثم أطلق الجانى رصاصة أخرى على جسمه . ولم يلبث ان جذب الجثة من الحبل الملتف حول عنق القميص ليحملها على كتفه الى المخزن حيث أودعها أحد صناديق الثلج

وكان لوبين على عادته لا يكاد يهرب من باريس وفرنسا كلها فى طلب الراحة والهدوء حتى تلاحقه المغامرات وتأبى عليه ان يركن الى حياة البطالة والركود وأخيرا لم يجد امامه سوى لوس انجلوس فى أمريكا فمضى اليها مع مساعده الجديد جيروم وهو شاب انجليزى رملته الحرب الكبرى وهوى حياة المغامرات وعرفه لوبين فى احدى زياراته لانجلترا واحيائها الفقيرة فأعجب بتوقد الصبى والحقه بخدمته . وفى يوم قرأ لوبين قصة الاوراق المزيفة التى أذهلت بنك التعاون فى نيويورك فأسرع مع مساعده لمقابلة مدير البنك وعرض خدماته عليه. وكان جيمس وولف مدير البنك قد تعرف بلوبين فى حادث سابق كادت أموال البنك تضيع جميعها فيه بعد أن اختلس وكيله أكثر من مليون من الدولارات وفر هاربا الى فرنسا . ولكن لوبين أقحم نفسه فى الامر كعادته وأعاد اللص والمسروقات الى أمريكا فأنقذ

جيمس وولف ورد اليه صيته الطيب وشهرته الواسعة . وكانت فرحة المدير بالغة عندما شاهد لوبين يزوره فجأة أثناء تبلبل خواطره من جراء تلك الاوراق المالية المزيفة . ولكن لوبين لم يقبل أن يدس أنفه فى ذلك الحادث الا بشرط أن يقدمه جيمس الى رجال الامن فى نيويورك على أنه صديقه مسيو ارتين لوكاس من هواة الابحاث الجنائية فى مرسيليا وأنه يسر لو سمحت له الحكومة بالمساهمة بما يستطيع فى كشف أمر ذلك التزوير والعثور على المزورين وعلى الاوراق الصحيحة ..

وبهذه الشخصية لم يجد رجال الامن الامريكى مايمنع ارتين لوكاس هذا من العمل مادام لن يكلف الحكومة أى اجر أو نفقة . وبدا لوبين بأن ارسل جيروم الى فندق ميراندا حيث لقى حتفه على تلك الصورة المؤلمة التى زادت لوبين رغبة فى القصاص من تلك العصبة العابثة .

وفى الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم التالى انطلق أرسين لوبين فى سيارته يشق طريقه الصحراوى الى فندق ميراندا حيث شاهد عند الباب الخارجى عدة جياد مطهمة وحوالى خمس عشرة سيارة فى انتظار أصحابها . وأسرع بريرا يرحب بعودته .

ـ أهلا بك ياسنيور ! أى خدمة ؟ بعض الويسكى ؟

فأجابه لوبين وهو يأخذ مكانه الى احدى الموائد .

لا بأس . وشريحة من اللحم .

— حالا يا سنيور . اذا شئت ان تساهم فى لعب الورق فسيكون ذلك بعد منتصف الليل فى الغرفة التى بالشرفة الى يمين الدرج .

وبعد ان فرغ لوبين من طعامه واشعل لفافتين من التبغ وسار الى غرفة جانبية للعب الورق فوجدها تغص باللاعبين وقد ازدحمت بهم الموائد وبينهم بعض السيدات كما شاهد لوبين بعض رعاة البقر يرقصون فى فناء واسع بين تلك الموائد على أنغام فرقة مكسيكية تعزف أروع الالحان الاسبانية ووقف رجل يغنى بأصوات منكرة تجعل السيدة المرهفة الحس تؤثر ان تدفن نفسها فى أحد الاديرة ! ولكن الرجل كان شابا موفور الصحة بادى القوة ! ولذلك كانت النسوة المتصابيات يحملقن فيه كأنما يتزودن من فتنة أحد الملائكة :

وراع لوبين جمال ذلك المكان ثم ما لبث ان رأى سيدة حسناء تعبر الغرفة الى النافذة بقوامها الممشوق وبأنفها المرتفع كأنها ملكة متوجة وان دلت أساريرها على قوة الارادة وقساوة الطبع ، فأدرك انها هنريتا التى سمع بأوصافها من صديقه مدير البنك . وتطلع جانبا فشاهد بريرا يتحدث الى الساقية فحياه بايماءه من رأسه ، ولكن بريرا أسرع اليه هاشا فابتدره لوبين يسأله :

— من هذه الفادة الفاتنة يا بريرا ؟ ما كنت أظنك تعرف سيدات كهذه الفاتنة .

فتجهمت قسمات مدير البنك وخيل للوبين ان الرجل

أفعى سامة ناعمة الملمس وخاصة عندما أجابه متخابثا : ان هذا الفندق معرض لربات الجمال وأرباب المال وأقطاب الرجال . أما هذه السيدة فهى هنريتا .

— أتعنى أرملة جرانوارث الذى انتحر فى نيويورك ؟ لقد قرأت خبر مأساته فى الصحف .

— انها جاءت بفكرة ان الفندق ملك لزوجها الراحل ولكننى أبلغتها انه مرهون لى ثم أصبح ملكا لى بعد ان عجز زوجها عن سداد الدين .

— وماذا فعلت المسكينة بعد ذلك ؟

— اننى رحيم يا سنيور ! وخاصة بالسيدات . ولذلك رحبت بأن تقيم هنا الى ان تنصلح أمورها كما اجرت لها مكانا تبيت فيه حتى تقرر ما ستعمله .

— يبدو لى انك رجل كبير القلب يا بريرا . ارجو ان تعرفنى بها .

— تعال أقدمك اليها يا سنيور .

ولكن سرعان ما رأى لوبين رجلا يتقدم نحوها ثم يتخذان مكانيهما حول مائدة منعزلة . وكان الرجل جميل الوجه صبيح المحيا مفتول العضلات ، تدل طريقة معاملته لها على انهما صديقان حميمان ، فتمتم : أهذا صديقها يا بريرا ؟

— نعم يا سنيور وهو يدعى مالونى ويجىء هنا كثيرا للعب .

ـ أرجو ان تتاح لى فرصة اللعب معه وكسب بعض ماله . وعلى فكرة اذكر لك ان اسمى فروم .. سيلبى فروم

ـ تشرفنا يا سنيور . وليس ما يمنع أن أقدمك اليها الآن .

وعندما دقت الساعة النصف بعد الثانية كانت الغرفة قد خلت الا من عشرة أو اثنى عشر رجلا وسيدة . ثم مالبث بريرا ان طلب اليهم جميعا ان ينتقلوا الى غرفة بالطابق العلوى . وهناك التفوا حول مائدة كبيرة فى الوسط وراح بعضهم يلعب لعبة البكار ووقف الآخرون حول جماعة تلعب البوكر . أما مالونى وصديقته هنريتا فكانا بين لاعبى البكار ولكنهما ما لبثا ان غادرا المائدة وقد بدا عليهما الاضطراب. ثم سمعه لوبين يتحدث الى زميلته عابسا : يظهر اننى لن أجد حظا فى هذا المكان .

فابتسمت المرأة عن اسنان كاللآلىء الناصعة ثم غمغمت ببعض كلمات تبدد بها يأسه واكتئابه . ولاحظ لوبين ان ثمة رجلا عند الحافة الاخرى يرقبهما ويحصى عليهما حركاتهما ثم ما فتىء ان تقدم منهما وقال فى لهجة مشوبة بالسخرية:

ـ على اللاعب ان ينتظر الغرم قبل الغنم .

فقرض مالونى على اسنانه وقال : هذا شأنى الخاص يا فردیناند ولست فى حاجة الى نصائحك . أنا لا أكره ان أخسر ولكننى أعجب لم تلازمنى الخسارة هنا على طول الخط ؟ قد يكون هذا وهما منى !

وفجأة شاهد لوبين ما أدهشه .. فقد انقض فردیناند بقبضته الهائلة على فك مالونى ثم ما لبث أن تماسك الرجلان وراحا يتبادلان أقصى اللكمات . وكان فردیناند كالنمر الضارى فما زال يفريه حتى تركه على الارض مطروحا لايقوى على الحراك !

فأشعل لوبين لفافة من التبغ وقد راقه ذلك المنظر ، بينما التصقت هنريتا الى الحائط تنظر وتنتظر وقد عصفت بأذنيها ضحكات الآخرين لهذا الشجار كأنما اعتادوا أن يروا فى ذلك المكان مثل هذه المناظر الدامية ! واخيرا تقدم رجل يصيح بهما :

ـ ماذا جرى يافردیناند ؟ الا تكف يوما عن اثارة الشجار ؟

فطتلع اليه فردیناند بعينين يتطاير منهما الشرر ثم قال متحديا .

ـ الا يروقك ذلك ؟!

ثم عرك أنفه بيده وأردف :

ـ اذا كان لا يروقك فأولى بك ان تغادرنا بوجهك الكالح .

وتقدم لوبين الى هنريتا هامسا : خذى صاحبك بعيدا واعنى بتمريضه . وأرجو ان تستطيع بعد قليل ان نلعب الورق معا .

ورفع مالونى عن الارض ليقوده الى غرفة أخرى .

وفى تلك الاثناء تقدم فرديناند الى هنريتا ، وقبل ان تعرف ما سيفعله ، قبلها فى فمها ثم قال :

ـ أسرعى يا أختى بهذه الاشلاء وارفعى هذا التجهم عن وجهك الجميل .

ثم عاد الى المائدة يضج فى ضحكته ليستانف اللعب ، بينما غمغمت هنريتا :

ـ سحقا لك أيها الخنزير !

وارتفع صوت فرديناند يحدث لوبين : وأنت ياسنيور ألا تأتى لنلعب ؟

فأومأ اليه لوبين موافقا ثم أردف : بعد دقيقة واحدة .

وسار وراء هنريتا ومالونى الى غرفة صغيرة بها فراش بسيط حيث استلقى الرجل منهوكا يتصبب بالعرق والدم النازف من جبهته . وأسرعت هنريتا تحضر حوضا ملأته بالماء ثم صاحت : وددت لو أكون رجلا لاهشم راس ذلك الوغد ! ان فى وسع مالونى ان يسحقه لولا ذراعه التى لا يجيد استعمالها بعد ان كسرت منذ اسبوعين .

فقال لوبين : لقد اشتعلت بالغضب عندما قبلك رغم أنفك امام الآخرين ليمعن فى تحقيرك .

فدمدمت : ويل للوغد !

وأردف لوبين : سيدتى . عندما تضمدين جراح صديقك تعالى الى مائدة اللعب وهناك ستتاح لنا فرصة التحدث قليلا مع فرديناند .

وغادرها الى غرفة المقامرة حيث كانوا فى انتظاره وقد

تجلى على وجوههم نفاد الصبر . وبدأوا يلعبون على الفور واتيح للوبين ان يكسب فى أول شوط . وزادت قيمة الرهان اضعافا حتى بلغ ما على الرقعة مائتين وخمسين دولارا .

وسمع لوبين اذ ذاك صرير الباب فعرف ان هنريتا قد قدمت . ثم جاءت فوقفت الى جانبه . والقى اللاعبون أوراقهم ولاحظ لوبين ان مع فرديناند زوجين من الآس فصاح به :

ـ يجب ان تتعلم أولا شرف اللعب !

فكشر فرديناند عن انيابه وتقوست كفتاه العريضتين ثم زار كالوحش المغضب .

ـ ماذا قلت ؟

فمد لوبين يديه تحت المائدة ، ورمى بها جانبا ثم وثب وقد أسقط رأسه فوق صدره فارتطم بقوة بذقن فرديناند . ثم وثب الى الخلف عائدا ليقفز فى خفة النمر فيلكم العملاق فى فكه الايمن لكمة سمع ارتطامها فى الغرفة الاخرى . وهجم فرديناند بدوره كالثور الهائج ولكن لوبين تحاشى هجمته ثم لطمه مرة أخرى برأسه فى أحشائه بكل قوته . فصاح الرجل متألما وتراجع الى الحائط . وكلما هم بأن يتقدم عاجله لوبين بلكماته فى سرعة البرق حتى خر صريعا على الارض . وعندما قرأ لوبين فى وجه بريرا غيظه وحنقه صاح به :

ـ احمله يا بريرا الى الخارج حتى لا يتضاعف كدرى فاقصم رقبته .

فلم يجب بريرا أو يتحرك فى مكانه . وتقدم لوبين الى

فرديناند فجذبه من حافة معطفه حتى بلغ مكان هنريتا فصاح به :

— قدم للسيدة اعتذارك على ما بدر منك والا هشمت رأسك !

ولم يتركه حتى غمغم معتذرا . ولم يكتف بذلك بل عاد الى بريرا يقول :

— اذا كان منزل مالونى بعيدا فاستدع سيارة تحمله.

والتفت الى هنريتا باسما : اما أنت يا أختى فالتفى فى معطفك وتعالى نتنزه قليلا فى سيارتى لان لى معك بعض الحديث .

الفصل الرابع

سارت بهما السيارة تحت ضوء القمر وبين الزروع المتباعدة وكلها من النخيل الذى يشق الصحراء كالينابيع والآبار . وسأل لوبين رفيقته :

— أتريدين الذهاب الى مكان بعينه ؟

فأجابته باسمه معجبة برجولته : كلا . ولكننا لو سرنا قليلا لوجدنا مكانا يفتح أبوابه طوال الليل ، حيث نستطيع ان نحتسى قدحين من القهوة أثناء الحديث .

ثم ركنت الى الصمت وفى زاويتى فيها ابتسامة حائرة حتى بلغت السيارة أضواء ذلك المكان . واذ ذاك بدأت هنريتا حديثها فجأة :

— اظنك قد احسنت صنعا بمسلكك نحو فرديناند . انه يعتقد نفسه اقوى من انجبت النساء ولكنك ستحمله على تغيير رأيه بعد ما حدث .

فأجابها وهو يحملق فى عينيها الزرقاوين بنظراته الثاقبة :

— هذا لا شىء .. والحق اننى لم أحب هذا المخلوق منذ رأيته . وقد زادت كراهيتى له عندما صرع عصفورك ثم قبلك عنوه واستخفافا .

وهبط من السيارة الى حانة صغيرة جلسا حول مائدة منعزلة فى ردهتها الانيقة . ثم طلب القهوة وأعطى رفيقته

لفافة من التبغ لتشعلها فراحت تجذب منها أنفاسا طويلة . وتتطلع الى سحب الدخان المتصعدة منها ثم قالت :

ـ أخاف ان تسوء علاقة « فردیناند » بك بعد ذلك الشجار . ولا اعلم ماذا سيكون موقفه ازائى !!

ـ ماذا تعنين ؟

ـ ان فرديناند يريد ان يتزوجنى ويحسب نفسه يحبنى الى حد الوله والجنون فماذا سيظن فى الغد بعد ان يتخلص من رضوضه ومن تلك الحلقات السوداء التى رسمتها له حول عينيه ؟

ـ اذن فانت تخشين الا يتزوجك ؟

ـ يجب أن أتزوجه . دعنا من الحديث عنه واذكر لى ما تريد ان تكلمنى عنه .

وجاء الخادم بقدحين من القهوة الشهية الرائحة . وعندما رفعت قدحها سقط معطفها عن كتفيها فبهت لوبين لجمالها ونضارتها كأنهما كتفا فينيس اله الجمال ! ونظرت اليه هنريتا نظرتها الى طفل « شقى » عابث فقال :

ـ أهنئك أولا بحسنك الرائع ثم انتقل الى ما جئنا اليه فأقول لك اننى ادعى سيلبى فروم واشتغل فى مكتب فرعى مجداليا فى المكسيك لشركة للابحاث القضائية والجنائية . وحدث منذ شهر تقريبا ان كنت فى نيويورك لبعض الاعمال فقابلت زميلا لى وفهمت منه ان التحقيق فى مصرع زوجك سيستأنف من جديد .

ووقف لوبين لحظة ليرتشف قهوته فاستطاع ان يرقب

رفيقته من فوق حافة القدح ويرى اصابعها ترتجف وقد امتقع وجهها ثم قالت :

ـ خبر سار . ولكن أى دليل جديد يمكن ان يعثروا عليه فيقيموا عليه شكوكهم ؟

ـ فهمت من هذا الزميل انك لم تكونى فى هارتفورد يوم انتحار زوجك بل كنت فى نيويورك وكنت آخر من قابله قبل ان يلقى بنفسه الى البحر .

ـ يا له من تخمين !

ـ وهكذا يميلون الى الاعتقاد بانه لم ينحر وانما قتل قتلا .

ـ رأى مضحك يا مستر تروم بعد ان شهد حارس الميناء أنه رأى جرانوارث يسوق السيارة على الرصيف .

فاستطرد غير حافل باعتراضها :

ـ وسمعت من زميلى انك قدمت بنك التعاون أوراقا مالية مزيفة فابلغ المدير لادارة الامن كما استعان باحد دهاة البوليس السرى فى فرنسا على معرفة مصدر هذه الاوراق . واستطاع ذلك الداهية ان يحمل حارس الميناء على الاعتراف بأنه شاهد سيارة جرانوارث تسير على مهل حتى اذا بلغت نصف الرصيف هبطت منها سيدة ثم أغلقت خلفها الباب . ومرة أخرى عادت السيارة تتحرك ثم وثبت الى الماء .

ـ ولماذا لم يقل الحارس ذلك اثناء التحقيق ؟

ـ لسبب وجيه. اذ أقفل فمه عن ذلك الحادث الصغ:

لان شخصا يدعى باردیل وهو سكرتير زوجك سابقا نفح الحارس ورقة من ذات الالف دولار لينسى كل شيء عدا أنه رأى السيارة تثب الى حافة الرصيف .

فامتقع وجهها كانما أصيبت بصاعقة وأردف لوبين قائلا :

— يلوح لى ان باردیل هذا صديق مقرب اليك لانه عندما سئل فى مركز الشرطة ذكر انك لم تكونى فى نيويورك فى تلك الليلة التى وقعت فيها المأساة . ولم يقف عند هذا الحد بل ذهب الى الحارس ورشاه ليحفظ فمه مقفلا عن تلك المرأة التى وثبت من السيارة .

ظللت هنريتا صامتة ذاهلة وامتد لسانها الى شفتيها يبللهما . وأخيرا استطاعت ان تسترد جاشها وتقول :

— اذا كان جرانوارث قد قتل لاكتشفوا ذلك بعد الموت .

— ربما وربما . فقد يكون تهشيم راسه بسبب سقوطه فى البحر أو اثر اعتداء هائل عليه قبل ان يوضع فى السيارة .

— انا لا افهم شيئا مما تتوهمونه واعجب لماذا يسعى باردیل لارشاء الحارس على رواية قصة مختلفة !

— أترغبين فى قدح آخر من القهوة ؟

— لا بأس . لا بأس .

فطلب لوبين من الساقى ان يأتيها بقهوة ممزوجة باللبن على الطريقة الفرنسية لعلها من أعصابها المرهقة . بينما

ظلت عيناه ترمقانها فى هدوء وهى مستغرقة فى يم من التفكير . حتى اذا جاءتها القهوة راحت تشربها فى لذة من يجد ما يشغله . ثم وضعت القدح على المائدة وسددت نظراتها نحوه وقالت :

— يدهشنى أن تهتم هذا الاهتمام كله بابلاغى هذه الرواية يا مستر فروم فماذا تريدنى ان أفعله ؟

— الذى يشغل رجال الامن ان يعرفوا مصدر الاوراق المالية ومن زيفوها . أما مسألة انتحار زوجك أو مقتله فقد أثيرت نتيجة لظهور هذا التزوير العجيب . وقد علمت فى الليلة الماضية من جيروم سيجرانك مسز هنريتا فآثرت أن أبلغك ما وصل الى سمعى . وأنا مستعد ان انقل عنك الى زميلى فى نيويورك ما يلقى بعض الضوء على مصرع زوجك أو مسألة الاوراق المالية الزائفة . ونصيحتى ان تعملى على فهو هذه المسألة الاخيرة والا فلن يمر حادث مصرع زوجك بسلام .

— ليس لدى ما أقوله أكثر من اننى عثرت على هذه السندات المالية فى خزانة زوجى بعد انتحاره .

— أكنت تعلمين من قبل انها بالخزانة .

— طبعا . فقد كتب الى انه اشتراها لى لتكون خميرة للمستقبل . وقد علمت من باردیل ان مفتاح الخزانة اخذه محامى زوجى من جيبه عندما اخرجت جثته من البحر فلما ذهبت اليه اعطانى المفتاح . أما انهم يشكون فى أن زوجى قد انتحر أو فى اننى كنت فى نيويورك ليلة ذلك الحادث

فهذا ادعاء يفتقر الى الاثبات .

ـ اظن فى استطاعتهم اقامة الدليل على ما يقولون .

وكان لوبين يعنى بذلك الدليل تلك الرسائل الثلاث ومضت لحظة قالت بعدها :

ـ أنا اشكرك على كل حال لانك حذرتنى وارجوا ان نعود الآن .

وحملتهما السيارة . وتظاهر لوبين بأنه لا يعرف أين تسكن ، فاخبرته بلا تردد ، وكان لا يدرى ماذا يكون شعورها عندما تجد الخطابات الثلاثة قد تبخرت ! كما كان واثقا انها لا تعلم شيئا عن مصرع « جيروم » لأنها لم يمتقع لونها أو تضطرب عندما ذكر لها اسمه فى معرض حديثه معها ، وان كان لا يستبعد ان تجرؤ بقساوتها البادية على ان تقتل زوجها الخائن لعهودها وراح يسائل نفسه :

« لنفرض انها رجعت الى نيويورك بعد أن كتبت تلك الخطابات لأنها ارادت ان تقطع برأى فى علاقتها مع المراة الجديدة ، وان هذا الزوج غادر مكتبه ليلقاها فى مكان ما بعد ان تحدثت اليه بالتليفون عن عودتها ثم ركب سيارته وتحدثا فى مر الأوراق المالية وظهر لها انها زائفة .. وعندئذ لا يبعد أن تكون الزوجة قد ثار مرجل الغضب فى نفسها فضربته على رأسه ضربة هشمته . واذ ذاك تذكر أن الرجل قد حاول الانتحار من قبل فماذا لو اكسبت تلك الجريمة مظاهر الانتحار ؟ وكانت فكرة صائبة لم تتردد لحظة فى تنفيذها ، فحملت الجثة الى المكان الخلفى وقادت السيارة بنفسها

الى رصيف القطن . وهناك لم تر الحارس فهبطت من السيارة واطلقتها بعد ان سددتها نحو نهاية الرصيف . وهذا يفسر اقتحام السيارة للحائل الخشبى وسقوطها فى البحر » .

وعندما اقترب لوبين من فندق ميراندا لم يجد أثرا لضوء أو صوت فوقف لحظة طويلة قرر فى نهايتها ان يتسلل خفية الى الداخل عن طريق احدى النوافذ . ولم تمض دقيقتان حتى كان فى ردهة الرقص يغمره الظلام . واسرع الى المخزن الذى خلف البار ولكنه لم يجد اثرا لجثة جيروم فايقن انها دفنت بالأمس قبل أن يشرق النهار . وشاهد فى الثلاجة بضع زجاجات من الخمر ففتح احداها واحتسى منها رشفات كبيرة وقد امسك بيده الأخرى مشعلة الكهربائى . وفجأة شاهد على أحد الرفاف ما يشبه زاوية احدى الرسائل ، فمد يده ليجد ما أدهشه !

وجد خطابا مكتوبا على الة كاتبة جاء فيه :

« سيذهب اليكم رجل داهيه فرنسى من هواة الابحاث الجنائية فى مرسيليا ويدعى ارتين لوكاس . وهو رجل طويل جميل مفتول العضلات ، رشيق القامة ، تعلو وجهه ابتسامة ساخرة . وقد قبلت الحكومة أن يساهم فى كشف اسرار الاوراق الزائفة بعد الحاح من صديقه جيمس وولف صاحب بنك التعاون الذى يهمه امر هذه السندات اكثر من غير . وقد سمعت من اصدقاء جميس ان هذا الداهية لا تقف عقبة فى سبيله ولا تستدق على ذكائه أى مشكلة » .

عجب لوبين أن تصل لاخبار بهذه السرعة الى تلك

الطعمة الشريرة ! ودهش من يكون هذا المراسل أو الشريك الذى يرصد لهم كل حركة ويأتيهم بكل جديد !

وسر لانه عرف بشخصيته الجديدة حتى لا ينطرق الشك الى رجال الأمن فيعرفوا أن ارسين لوبين طريد العدالة هو زميلهم فى تحقيق هذه الحادثة . كما للثناء الذى أغدقه عليه ذلك المراسل النشيط . ولكنه استاء لأن هذا الخطاب هو بلا شك سبب قضائهم على جيروم بعد أن راقبوا حديثه معه وساورتهم الريب من ناحيته . وأدرك أن دوره آت متى اتيحت لهم الفرصة السانحة ، وان كاتب هذه الرسالة هو بعينه الذى أرسل اليه رسالة غير ممضاة حدثه فيها عن الخطابات التى تحتفظ بها هنريتا ويسر المحقق أن يعثر عليها . وزادت هذه المشاكل والتعقيدات فى اغتباط لوبين الذى كان يخشى أن يقتصر الامر على نواح خالية من الطرافة أو الابهام الذى يشحذ الفكر ويصقل نفسه بعد تلك العطلة الطويلة . وأصبح جليا أمام عينيه الا أحد غير السكرتير (باردیل) قد أرسل اليه ذلك الخطاب غفلا من التوقيع حتى يسعى لتحطيم المرأة واتهامها بمقتل زوجها ظنا منه أنه بذلك يخدم الحق والعدالة .

وعاد لوبين فى طريقه الى فندق الينابيع حيث وجد برقية فى انتظاره ردا على رقيته التى طلب فيها من ادارة الامن فى نيويورك أسماء من كانوا يعملون فى دار جرانوارث عندما قضى نحبه ، فاسرع يفضها ويقرأ ما جاء بها :

« لانجدون باردیل سكرتير منذ سبع سنوات ويشتغل

الآن بأعمال جرانوارث باسمه الخاص . هنريك بلاتزا ساق منذ أربع سنوات ولا يعرف مقره الحالى . ماوى تريزا خادمة هنريتا وتشتغل الآن بمنزل مسز جون فلافورد فى نيويورك . جوان ترميجلو سائق منذ ثلاث سنوات ولا يعرف مقره الحالى . وسنرسل صورتى بلاتزا وترميجلو فى ظرف يومين » .

فاشعل لوبين لفافة من التبغ وجلس الى مائدة يفكر فى الخطوة التالية فلم يجد غير لقاء باردیل والتحدث اليه .

الفصل الخامس

كان فى وسع لوبين أن يقدم الرسائل الى القضاء فيعاد التحقيق فى مصرع الزوج على هذا الضوء الجديد ، ولكنه آثر أن يتمهل حتى يجلو أمر تزييف السندات المالية وهو ما دعا صديقه جيمس مدير بنك التعاون الى الالتجاء اليه . وكان يضايق لوبين أن يظنه باردیل أبله الى هذا الحد فيكتب اليه ليتعقب هنريتا ثم يرسل اليها والى شركائها يحذرهم منه ! ولا يعلم بعد ذلك ما سينتهى به ذلك العبث !

وفى اليوم التالى وقفت سيارة لوبين أمام مكتب باردیل وهو مكتب جرانوارث القديم . وصعد فى مصعد فخر الى الطابق الثالث حيث لقيته آنس جميلة كانت تجلس أما الآلة الكاتبة فأخبرها أنه يريد مقابلة مستر باردیل ولكنها اجابته بأنه مشغول بعض الوقت فى أعمال هامة وان فى وسعه ان ينتظر فى غرفة الاستقبال حتى تدعوه . وكان لوبين متعجلا فدلف على الفور الى غرفة باردیل حيث شاهده يجلس خلف مكتب فاخر من خشب البلوط وأمامه زجاجة من الخمر وصحن مملوء بالبطاطس . ولم تبد على أسارير باردیل أمارات الدهشة أو المباغتة بل رفع رأسه باسما وقال :

— أنا مسرور لرؤيتك يا مسيو ارتين لوكاس . تعالى يا سيدى .

فتقدم لوبين وغاص فى مقعد كبير فى مواجهته ثم أخذ سيجارا من صندوق فضى كبير على المائدة وقال : اصغ لى يا باردیل ! أرجو الا تقاطعنى .

— ولكن ماذا تريد منى وقد افضيت اليك بما أعلمه ؟

— جئتك مرة ثانية اطلب المزيد فاصغ الى : لقد سألتك منذ اسبوعين عن معلوماتك فاجمعت انت وسائر خدم جرانوارث على أن هنريتا زوجته لم تكن فى المدينة ليلة انتحاره . ولكننى ذهبت فى صباح اليوم التالى الى حارس ميناء القطن ومازلت استدرجه الى أن ذكر لى انك ذهبت اليه فى اليوم التالى للحادث وأعطيته ألف ريال ليغلق فمه ولا يذكر شيئا مما رآه . وبعد ثلاثة أيام أخرى جاءنى خطاب غفل من الامضاء يستحثنى فيه كاتبه ان اذهب الى ينابيع النخيل لاضع يدى على خطابات تحتفظ بها هنريتا ، فذهبت وعثرت فعلا على هذه الخطابات ورأيت من واجبى أن آتى الى هنا مرة أخرى لاشكرك على رسالتك واستوضحك سبب هذا التناقض فى سلوكك فانت ترشو الحارس ليغلق فمه ثم تدفعنى الى اتهام الزوجة ! وانت كذلك الذى حملت الخدم على تبرئتها والاجماع على أنها لم تكن فى نيويورك ليلة الحادث ! فهل لك ان تفسر لى تلك المتناقضات ؟

فابتسم باردیل وقال فى هدوء :

— لك ما تشاء فاصغ بدورك الى : كنت اعلم ان هنريتا عائدة الى نيويورك لانى رأيت الرسائل التى كتبتها الى زوجها ولكننى طلبت الى الخدم اخفاء تلك الحقيقة لأن جرانوارث كان كلبا حقيرا يبصبص بذيله الى كل امرأة يصادفها . وكنا جميعا نمقته لشذوذه ورذائله . وعندما

سمعنا منه أنه اشترى لزوجته سندات مسجلة لتكون خميرة للمستقبل ظننا أنه سيحيا حياة جددة طيبة .

وفى الليلة التى مات فيها خرج من مكتبه مبكرا على غير عادته وعرفنا فيما بعد أنه قابل زوجته وحدثها عن المرأة التى استهوته وذاعت علاقتها به . وفوجئت فى الصباح التالى عندما صحوت على دقات التليفون ووجدت رجال الشرطة يدعوننى الى الذهاب للتعرف على جثة جرانوارث التى عثروا عليها فى النهر . وعلمت أن الزوجة قد عادت الى هاتفورد فى الليلة السابقة بعد ان قابلت زوجها لانه كان قد ذكر لى انها ستقفل راجعة بعد أن تراه . ولما كنت اعلم الاق جرانوارث وانه كان ثملا ثائرا عندما غادر مكتبه للقائها ادركت أن الخنزير قد أهانها أو تشاجر معها ثم هاجت اعصابه واعمته الخمر فكرر لوثته الاولى وقذف بنفسه الى النهر منتحرا . وعندما عرفت من الحارس ان امراة كانت معه قبل أن تندفع السيارة الى اليم اعتقدت انها لا تعدو أن تكون احدى خليلاته ولكن التهمة ستحوم بلا شك حول زوجته المنكوده التى قدمت فى نفس الليلة ثم عادت على الفور الى هاتفورد . فكان طبيعيا أن آخذ الف دولار وجدتها فى درج جرانوارث وان ارشو بها الحارس حتى لا يطلق لسانه بما يقض الزوجة البريئة التى ذاقت من زوجها الامرين فى حياتها الشقية معه .

وعندما انقضت بضعة شهور وجئتنى تحدثنى عن السندات المالية المزيفة التى حاولت هنريتا ان تخدع بها

بنك التعاون لم ار ما يدعونى الى تغيير ما ذكرته من قبل امام رجال الشرطة من ان الزوجة كانت ليلة الحادث فى هارتفورد ولكنك بعد ان غادرتنى مضيت افكر قليلا فى امر هذه السندات التى اعلم تماما ان المحامى قد سلمها بيده الى هنريتا سليمة لا زيف فيها ولا تزوير كما كانت فى خزانة الزوج . كما اننى بحثت فى الدرج حيث وضع جرانوارث تلك الرسائل الثلاث فلم اجد لها أثرا ! فبدأت الشكوك تساورنى وتقض مضجعى وخيل لى أن الزوجة هى التى قتلت زوجها وانها هى المراة التى شاهدها الحارس ، ولذلك فقد اخذت معها الرسائل التى تثبت عليها الاتهام . ولما كانت لا ادع للرثاء أن يتغلب على شعورى بهول الجريمة فقد عصف الضمير القلق براحتى . وادركت كذلك انك راجل داهية لم يتوان مستر جيمس فى الالتجاء اليك وحمل رجال الامن على اشراكك فى ابحاثهم فلم ار سبيلا غير الكتابة اليك بامر هذه . وهكذا جلست الى الآلة الكاتبة ثم بعثت اليك بخطاب غفل من التوقيع وانا واثق انك قادر على معرفة الحقيقة وموقف الزوجة من حادث زوجها .

فوقف لوبين ومد يده الى باردیل ثم قال :

— شكرا يا باردیل ان اوضحت لى كل شىء . وقد بدات اعتقد اعتقادا جازما ان هنريتا قد قتلت زوجها . وسوف تتقلى على نار جريمتها الشنيعة .

واسرع لوبين الى مركز الشرطة الذى لا يبعد عن مكتب باردیل بضع خطوات فرجا « المأمور » ان يطلب لى

« السنترال » أن تدون كل حديث يدور بين باردیل وبين أى انسان فى فندق الينابيع أو فندق ميراندا . ثم عاد الى فندقه ليشعل لفافة من التبغ ويحدث نفسه :

« ان قصة باردیل هذه بعيدة عن الحقيقة . فلو فرضنا انه كان يعلم ان هنريتا أخذت الرسائل من الدرج لأنها تثبت ادانتها أو أنها على الاقل كانت فى نيويورك يوم ان مات زوجها لكان معنى ذلك انها ستحرقها لا ان تحتفظ بها معها ! ثم من اين علم انها لم تدمرها ؟ اله عين ترقب هذه المرأة فى فندقى الينابيع وميراندا ؟ ساعرف كل ذلك عندما يوافينى مأمور القسم بما سيدور بلا شك من حديث بين باردیل وبين اعوانه هناك بعد مقابلتى له . واذا كان ضميره لا يسمح بأن تترك الزوجة القاتلة وحالها فلماذا ارسل ينبه الى ذهابى ويصفنى وصفا دقيقا ؟ يا لها من قصة طريفة شاءت الاقدار ان تسوقنى اليها !

وقام يغتسل بالماء البارد ثم خرج فى الساعة السادسة الى مركز البوليس حيث تسلم ما دار بين باردیل وفندق ميراندا من حديث اختزلته العاملة كما يلى :

— سنترال نيويورك . الساعة ٢٤ر٥ بعد الظهر —

(محادثة بين مكتب باردیل ت ١٧٤٣٢٥ وفندق ميراندا) .

مكتب باردیل : هالوا . فندق ميراندا ؟

فندق ميراندا : نعم . من أنت ؟ ماذا تريد ؟

مكتب باردیل : أنا باردیل .. اعطنى فيردى .

فندق ميراندا : لحظة واحدة ..

مكتب باردیل : هالوا .. فيردى ؟

فندق ميراندا : نعم . كيف حالك ؟ ماذا نعلم ؟

مكتب باردیل : اصغ الى . جاءنى ارتين يسألنى لماذا كتبت اليه خطابا غفلا من التوقيع . فأخبرته كيف حاولت ستر موقف هنريتا الى ان ظهرت مسألة الاوراق المزيفة وخفت ان تكون الزوجة قد قتلت زوجها وقد صدق الابله حديثى وهز يدى شاكرا . وقد فهم منى ان الوثائق الاصلية التى اعطيت لهنريتا قد تبخرت وانها بلا شك قد زيفت الموجود معها . وانا واثق انه سيعود الى فندق ميراندا لينشر شباكه حول هنريتا وبذلك تنتهى مسألة الاوراق ويقف التحقيق عند هذا الحد .

فندق ميراندا : حسنا . وسأفعل ما ترون .

مكتب باردیل : لا وسيلة سوى ان تتزوجها ايها الاحمق ثم تخبرها بأن السبيل الى درء الشبهة عنها ان تصر على انها لم تكن فى نيويورك ليلة الحادث . وبعد ذلك سيسهل كل شىء .

فندق ميراندا : حسنا .

مكتب باردیل : اركل لى بريرا فى ظهره واخبره اننى سأراه حالما تنتهى هذه المشكلة .. الى اللقاء .

وبهذا الحديث تحققت ظنون لوبين فى باردیل واقسم ان يعطى درسا قاسيا لهذا الماكر الذى يتحدث عنه وينعته بالابله ويظن رجال الامن جميعهم حمقى لا يرون الى

أبعد من أنوفهم . وما لبث فى اليوم التالى ان جاءته صورتا بلاتزا وترميجلو ودهش عندما رأى ان ترميجلو السائق هو نفس فرديناند الذى يريد ان يتزوج هنريتا سيدته !! يالله . كيف يجرؤ السائق على تهديد سيدته وارغامها على زواجه ؟ ولماذا يختفى فى فندق ميراندا ؟ ومن أين جاءته الاموال التى يقامر بها طوال الليل فى ذلك الفندق ! ؟ ولماذا أسرع باردیل الى الحديث معه دون غيره ؟ ولماذا كتب له يحذره من ارتين لوكاس أو يدفعه الى مقاتلته أو قتله ؟

ووضحت للوبين الحقيقة التى كان يبحث عنها وعرف أن فرديناند هذا هو الذى اخبر باردیل بان هنريتا تحتفظ معها بالرسائل الثلاث . ولا شك أنه هو الذى وضعها فى مكان ظاهر امام لوبين حتى تقع عليها عينا بمجرد ان يدخل الى مخدعها . اذن فباردیل كاذب وقصته ملفقة بحذافيرها فلم ير الرسائل فى درج المكتب ولم يجدها مرة أخرى قد تبخرت . واخرج لوبين من جيبه ورقة وقلما ثم كتب النقط التى وصل اليها فى تحليله :

١ — يعرى باردیل الخدم فيجمعون على ان هنريتا لم تحضر الى نيويورك ليلة مات زوجها . ويعطى حارس الرصيف رشوة كبيرة حتى لا ينطق بأنه شاهد امرأة فى السيارة .

٢ — عندما يظهر حادث تزوير الاوراق المالية ويشترك ارتين وكاس مع رجال الامن فى التحقيق يخبره باردیل بما يطابق الاجماع الاول . ثم يحصل على الخطابات

الثلاثة من درج جرانوارث ويرسلها الى فرديناند ويطلب اليه ان يضعها فى مكان ظاهر فى مخدع هنريتا بالمزرعة . ثم يكتب خطابا لارتين يخبره فيه ان هنريتا تحتفظ بالخطابات معها فى فندق الينابيع كأنه لا يعلم انها انتقلت الى فندق ميراندا ثم اقامت فى المزرعة المجاورة !

٣ — يذهب ارتين الى مخدع هنريتا فيجد الخطابات كما يجد فى المخزن رسالة من باردیل بأوصافه .

٤ — يقص باردیل على ارتين قصة الضمير المعذب ولكن كذبه يظهر فى حديثه التليفونى مع فرديناند . وتتضح حقيقة أخرى هى اتفاق باردیل وفرديناند على تقديم هنريتا الى المقصلة بتهمة قتل زوجها .

٥ — يفرض فرديناند وهو سائق هنريتا ارادته على سيدته ويسعى باردیل الى ان يتم زواجهما فكيف يتفق هذا من تهمتهما فى قتلها ؟

بقى السؤال الاخير معلقا ولم يجد لوبين سبيلا الى حله بغير زيارة الفندق مرة أخرى .

الفصل السادس

وسرعان ما دخل الفندق فى الساعة التاسعة حتى طلب الى بريرا أن يدعو مالونى الى لقائه ثم مضى يحدث الشاب الكبير فى صراحة :

ـ اصغ الى يا عزيزى . انا لست سيلبى فروم ولكننى ادعى ارتين لوكاس ولى صلة وثيقة بادارة الامن فى هذه البلاد . وقد جئت الى هنا لاعرف كيف مات جرانوارث حتى النهاية . وثق ان أدلة الاتهام متوفرة ضد هذه المرأة وهل انتحر حقيقة أم قتلته زوجته هنريتا، اصغ الى حديثى المنكودة ، ولكننى شخصيا يهمنى ان أعرف حقيقة الاوراق المالية ومصدر تزويرها ، ولن يفيدنى فى مهمتى ان تلقى الزوجة حتفها لانها قتلت زوجها بل يعوقنى مجرد القبض عليها وانت تعلم اننى اشتغل لخدمة صيديقى مدير بنك التعاون فيجب أن تكون قضية الاوراق المزورة فى مقدمة ما يعنينى ويهمنى .

وتطلع لوبين الى عينى مالونى فلم يبد له انه ادرك هذه الحقيقة لاول مرة ، فاستطرد لوبين : والذى اطلبه الآن ان تذهب الى هنريتا فى دارها وتقنعها بضرورة مصارحتى بكل شىء لانه لا سبيل الى الانكار ولا فائدة منه. وسآتى هنا فى منتصف الليل .

ـ حسنا يا سيدى وان كنت واثقا ان هنريتا حمل وادع لا يؤذى مخلوقا .

ـ انك لا تعرف النساء يا ملونى .. اما انا فعرفت كثيرات منهن يذهبن الى الكنيسة مرتين فى يوم الاحد وايديهن ملوثة دماء أزواجهن !

فهز مالونى كتفيه وقال : حسنا .

ـ وهناك شىء آخر . فعندما تحدثت اليها قبل ذهابى الى نيويورك فهمت منها أنها قد تتزوج فرديناند وهذا يتناقض مع ما أدركته من حبها لك فكيف تعلل ذلك !

ـ هذا ما يحيرنى ولكننى اعلم ان ريرا وفرديناند هما صاحبا النفوذ الاول هنا .

ـ الم تسألها ان تتزوجك ؟

ـ بلا شك . وطلبت الى أن اترك لها بعض الوقت لتفكر فى الامر .

ـ لا تنس ان تذكر لها اننى سأعود فى منتصف الليل لاتحدث معها على انفراد .

ودقت الساعة الثانية عشرة عندما رجع لوبين فى سيارته فوجد فى الردهة أربعة يرقصون على أنغام « الجازباند » . فارتقى السلم الى الغرفة العليا المخصصة للعب الورق ولكنه لم يجد أحدا سوى الساقى ، فأمره ان يرشده الى غرفة بريرا . ثم سار اليها على الفور فدفع الباب ليجد بريرا يجلس خلف مائدة يجرع الويسكى بينما جلس فرديناند يدخن فى ركن . وعندما شاهدا لوبين رمياه

بنظرات جامدة ثم قال بريرا :

— مرحبا بك يا مستر فورم !

فصاح فيه لوبين حانقا : صه ! أنت تعلم اننى لست فروم وانما أرتين لوكاس فلماذا هذه المراوغة ؟ !

قرض فرديناند على أسنانه وقال :

— ماذا يهمنا ان تكون ارتين أو الشيطان ! نحن لا نحب رجال البوليس أو هواة البحث وغيرهم من الابالسة !

فأجابه لوبين ساخرا : أنا اراهن انك لا تحب رجال العدالة ولا تحب رجلا يصرعك كما يصرع الثور حتى يقبل الارض . ونصيحتى لك ان تكون مؤدبا حتى لا اضطر الى تحطيم رأسك .. أين هنريتا ؟

— فى الخارج مع مالونى . ابحث عنها ان شئت .

— سأفعل يا مستر فرديناند . سأفعل يا جوان ترميجلو وسأعلمك كيف تكذب فى شهادتك ..

ثم تركهما وهبط الدرج حيث وجد هنريتا تتحدث فى البهو الجانبى الى مالونى وقد ارتدت معطفا أزرق زاد فى جمالها فجذب مقعدا وجلس الى جانبها ثم قال . اظنك يا هنريتا قد سمعت من صديقك مالونى اننى ادعى ارتين لوكاس وان واجبك لا تخفى عنى شيئا .

فابتسمت عيناها وأردفت : حسنا . سأقص عليك

كل شىء تود ان تعرفه مادمت قد تعهدت صديقى مالونى بأن تعاوننى . أتريد ان ابدأ الآن ؟

— انتظرى لحظة يا عزيزتى . اصغى الى ما قبل ان تسردى قصتك .. احب ان تتحرري من كل القيود التى قد تربطك بها اقامتك فى هذا المكان وسط طغمة لا استريح لها ، ورجائى ان تبدئى بما حدث فى تلك الليلة عندما عدت الى نيويورك وقابلت جرانوارث يوم وفاته ..

— الامر بسيط يا مسيو ارتين ولكننى اخشى الا استطيع اثبات ما اقول . لقد كتبت بعض خطابات الى جرانوارث أرجو فيها مقابلته بعد أن سمعت بمبادلة مع احدى النساء غير عابىء بأنه له زوجة حسناء . والحقيقة اننى لم أكن سعيدة فى زواجى بهذا الرجل الثائر الابلة ، ولكننى عندما اشترى السندات بمبلغ مائتى ألف دولار وقرر ان يهبها لى ظننته انه قد ندم على مسلكه وكفر عن خيانته فأراد ان نبدأ حياة جديدة . وزاد فى وهمى أنه قرر ان يؤمن على حياته حتى يجعلنى فى مأمن من العاديات فى المستقبل ولذلك ظننته يمزح عندما أخبرنى ان شركة التأمين اشترطت عليه الا يقدم على الانتحار والا سقط حق ورثته فى التأمين .

— وبعد ؟

— وكنت اذ ذاك فى هارتفورد أقيم عند صديقة لى

حيث تلقيت خطابا غفلا من التوقيع يذكر لى كاتبه ان زوجى يعبث مع امرأة أخرى وان من واجبى ان أراقبه لان لتلك المرأة زوجا بدأ يعرف أمر هذه العلاقة وبدأت عاصفة الغيرة الثائرة تعصف بوجدانه . ولست من هؤلاء اللاتى يبالين بالخطابات المبهمة أو يحلفن بها ولكننى امسكت بالتليفون وحادثت زوجى بما فى ذلك الخطاب فلم يعن بانكار تلك الحقيقة واكتفى بان هاج وماج ، مما دلنى صدق ما حدثنى به ذلك المجهول . وكان ان كتبت لزوجى خطابين آخرين أسأله فيهما ماذا قرر ثم اخبره اننى قررت ان آتى لرؤيته بعد ان ثار مرجلى .

— لحظة يا هنريتا . ماذا حدث لتلك الخطابات ؟ ماذا فعل بها جرانوارث ؟

لا اعلم .. ولكن عندما اخبرنى باردیل بمصرع زوجى حضرت الى هنا ووجدت الخطابات فى احد الادراج .. وكان فى عزمى أن آخذها واتلفها ولكنى نسيت وسط قلقى وشعورى بالبؤس والتعس ..

— استمرى فى روايتك ..

— ذهبت الى نيويورك وبلغتها بعد ١٢ يناير ولكنى لم أشأ أن أذهب مباشرة الى الدار ، فتحدثت الى جرانوارث فى التليفون . أير ان الساقى اخبرنى انه مازال فى مكتبه فتحدثت اليه هناك واتفقنا على ان نتقابل فى مقهى بالمدينه .

وهناك لقينى ثائرا واخبرنى فى حنق انه لن يتخلى عن المرأة التى تروقه ويهنأ بصلته بها .

فلما هددته بالطلاق أوعد بان يترك البلاد ويحرمنى من كل نفقة . وبلغ به الغضب ان كان يرتعد وشاهدت يده التى تحمل فنجان القهوة وهى تضطرب بالانفعال والهياج .

واخبرته اننى لا يهمنى أمر النفقة طالما قد كتب السندات المالية باسمى . واذ ذاك خيل لى ان الغضب يكاد يخنقه وأخيرا طلب لى ان أعود الى هارتفورد لمدة أسبوع يكون فكر اثناء فيما ينبغى . وهكذا عدت الى هارتفورد . وبعد يومين حدثنى سكرتيره باردیل فى التليفون ليخبرنى بمصرع جرانوارث . ولا اخفى عنك اننى تقسمنى الاسى وتانيب الضمير اذ عددت نفسى مسئولة عن انتحاره بعد ان هددته بالطلاق .

— وهل عت الى نيويورك فى نفس اليوم ؟

— أجل . عدت فى الحال . وعندما انتهى التحقيق اخبرنى باردیل انه أمر الخدم بالا يذكروا اننى كنت فى نيويورك يوم انتحر زوجى حتى لا تحوم حولى الشكوك ، فشكرت له صيعته وحيطته . وبقيت بعض الوقت فى نيويورك حتى تقررت اعمال جرانوارث وانتقلت اشغاله الى باردیل بناء على وصيته التى طلب فيها ان يمنح سكرتيره مكتبه وان تسدد ديون ورهون خاصة من قيمة التأمين .

ولكن شركة التأمين أبت ان تدفع لان جرانوارث قد انتحر ، ولذلك ظل بريرا يضع يده على فنـــدق ميراندا لاننى لم أستطع ان ادفع له قيمة الرهن الموقع منه على هذا الفندق الذى يملكه زوجى وخاصة عندما اخبرنى مدير بنك التعاون ان السندات التى خلفها جرانوارث زائفة .

ـ أنا أعرف بقية القصة ولكن أى علاقة لك بفرديناندا

ـ ان فرديناند هذا هو جوان ترميجلو سائقنا . وقد سألننى أن أتزوجه بعد ان أصبحت بلا مأوى الا تلك الدار الصغيرة التى تركنى بريرا أعيش فيها نظير مسامرة زوار الفندق . وهو يتهددنى بان يخبر البوليس باننى كنت فى نيويورك يوم مات زوجى اذ لم اذن لرغبته .

ـ حسنا حسنا . والآن هل تعرفين المرأة التى كـان يحوم حولها جرانوارث ؟

لا أعرفها ولكننى اعتقـد انها زوجـة الرجل الذى أرسل خطابا غفلا من التوقيع .

ـ وماذا يحملك على هذا الاعتقاد ؟

ـ كان الخطاب مكتوبا بخط رجل . ولاحظت فى الموضع الذى كتب فيه « امرأة أخرى » كلمة ممحاة ولكننى استعنت بمجهرى فاستطعت ان اقرأ كلمة « زوجتى » مما يقطع بان كاتب الخطاب هو زوج تلك المرأة الاخرى بلا جدال .

ـ امعك هذا الخطاب ؟

ـ اختفى اننى فقدته .

ـ حسنا . أنا أصـــدق قصـــتك لاننى اثق دائما بالجميلات وارجو ان تتركى لى كل شىء .

فتطلعت المرأة اليه بعينين مؤتلقتين فيهما دلال واغراء

ثم قالت : لقد حدثنى قلبى منذ رأيتك انك ستكون منصفى وان براءتى وسعادتى ستكون على يديك .

ـ ارجو ذلك . الى اللقاء .

وعاد لوبين الى سيارته وراح يسابق الريح حتى يصل الى فندقه فبطرح جسمه المكدود على فراشه ساعات طويلة ولكنه سمع فجأة طلق نارى أصـاب عجلة القيادة فأوقف « القرامل » وادار العجلة جانبا وسط الادغال كأنما قـد اصابه الرصاص ثم رقد على العجلة وقد فتح احدى عينيه. وظل هكذا دقيقتين دون ان يحـدث شىء . واخيرا شاهد شخصا يتحرك فى ضوء القمر على كثب فوثب وراءه ولكن الرجل كان سريعا خفيف الحركة ليس من السهل ان يلحق به .. وفجأة طرأت عليـه فكرة ما فعاد يجرى الى السيارة ورجع على الفور الى الفندق يسأل عن فرديناند فلم يجده

ولما سأل بريرا عن مسكنه لم ير سـبيلا الى التردد فأخبره انه يقيم فى قرية (انديو) بأول دار بعد الصحراء . فأسرع لوبين لا يلوى على شىء حتى بلغ تلك الدار الصغيرة وطرق بابها ، ففتح له فرديناند بنفسه وفى فمه غليونه ثم سأله مشدوها : ماذا تريد !

فدفعه لوبين الى الداخل حيث وجد غرفة انيقة تتناثر على رفافها زجاجات الخمر ثم أخذ مقعدا وقال : يظهر لى يا فردينانند اننى لست محبوبا فى تلك الجهة لان أحدا أطلق على عيارا ناريا حاول به قتلى أثناء سيرى الى فندق الينابيع .

فتظاهر فردينانند بالدهشة ثم قال وهو مازال واقفا :

— اظنك تعتقدنى ذلك المعتدى . أى فائدة فى قتلك ؟

— لا اعلم . قد يكون ذلك الشخص بريرا .

— بريرا ؟ ولماذا ؟

— لا اعلم ذلك أيضا . اجلس أولا وقدم لى بعض الشراب ثم اصغ الى .

وبعد ان ارتشف بعض البيرة مضى يحدثه :

هل تعتقد ان تكون هنريتا وراء ذلك الاعتداء على حياتى بعد ان علمت باننى اساعد فى اماطة اللثام عن السندات المزيفة التى قدمتها الى البنك لترهنها أو تبيعها .. والذى يدهشنى ان تصل بكما الصلة الى حد التفكير فى الزواج مع انك لم تعد ان تكون سائقا لسيارتها !

— لقد فكرت فى زواجها عندما وجدتها بلامال أو صديق ولكنى عدلت عن فكرتى بعد ان رأيتها موضع مشاكل لا تنتهى وأصبحت متهمة بالتزوير والقتل ..

— اصغ الى ودعك من المراوغة .. سأعرض عليك مساومة معقولة لا اظنك ترفضها : أنت تعلم بطبيعة عملك كسائق لمستر جرانوارث تلك المرأة التى كان يحوم حولها فاذا أنت صرحت لى باسمها أغفلت القبض عليك بتهمة محاولة قتلى فى الصحراء .

فاضطرب فردينانند ولكنه ما لبث ان استرد جاشه وقال :

— أنا لا اعدم ستة من الرجال يشهدون بأنهم راونى طوال هذه الليلة واننى لم أفارقهم فى الوقت الذى أطلق فيه عليك الرصاص الا عندما بلغت منزلى .. ومع ذلك فأنا مستعد لاخبارك بكل ما تريد .

— حسنا . اصغ الى وقل لى ما تعلمه .

— ثم راح لوبين يقص عليه ما سمعه من هنريتا فلما انتهى من حديثه أردف فردينانند :

— لا شك ان هنريتا قد اختلقت لك قصة المرأة الاخرى لتبرر عودتها الى نيويورك لمقابلتها لزوجها يوم مصرعه . وأنا واثق أنه لم يكن يعنى بامرأة خاصة .

ولم يكد ينتهى من حديثه حتى أشهر عليه لوبين مسدسه ثم قال فى حزم :

— سواء كنت أنت أو بريرا أو هنريتا أو مالونى من

حاول الاعتداء على حياتى كان غيركم ، ففى وسعى ان اقرر اننى شاهدتك آنت بين الادغال ثم تبعتك الى هنا لما شعرت بى اتبعك واتاثر خطاك حاولت مرة وأخرى ان تقتلنى . واذ ذاك لم يسعنى سوى ان اطلق رصاصى عليك دفاعا عن نفسى . والآن ساعد من واحد الى عشرة والويل لك ان لم تخبرنى بتلك المرأة .

وراح لوبين يعد من واحد حتى بلغ تسعة فتصبب العرق باردا من جبين الرجل وصاح : بوليت بنينو . وهى تقيم بقرية سنوتيا فى المكسيك .

فقال لوبين وهو يعيد مسدسه الى جيبه :

— حسنا . وارجعو الا تقدم أثناء غيابى على ما تندم عليه .

الفصل السابع

أسرع لوبين الى فندق ميراندا . وراح يستعرض أثناء الطريق مجمل ما من به من الاحداث : فهاهما باردیل وفرديناند يحاولان ان يلصقا بهنريتا تهمة قتل زوجها وان يحملاه على الايمان باتهامها . كما يحاول باردیل ان يخلق فى ذهنه الاعتقاد بان هناك امراة اخرى بينما ينكر فرديناند هذه الواقعة ثم يسعى الى انقاذ حياته بالنطق باسم امراة لا يدرى لوبين عنها شيئا ولا يعرف هل لها علاقة بجرانوارث أم ان الرجل موه عليه تمويها بعد ان رآه جادا فى تهديده . اما اذا كان ما ذكره عنها صحيحا فسيجد لديها من المعلومات ما لم يجده عند الآخرون .

وهبط من السيارة امام الفندق ثم مضى الى الداخل ليرى معظم الانوار قد أطفئت ولم يبق منها الا أشعة تنفذ من الغرفة المعدة للعب الورق والمقامرة . وكان جليا ان صاحب الفندق يخالف التعليمات الادارية بهذا السهر الذى تعدى الساعات المجددة ولكنه لم يكن من رجال الامن أو المواطنين الرسميين حتى يتدخل فى ذلك .

وهناك رأى عنقودا من الرجال والسيدات محتشدا امام الموائد الخضراء وقد ألهبت اعصابه حمى اللعب . وجاء بريرا من المخزن الذى خلف البار ثم بادر الى لوبين قائلا :

— أهلا بك يا مسيو ارتين . أتريد شيئا من الشراب المعنش ؟

فأجابه وهو لا يحفل بالنظر اليه : شكرا . مر لى بقدح من الجعة .

وشاهد هنريتا تلعب البوكر ، بينما جلس مالونى على مائدة صغيرة يرنو اليها مشرق الاسارير . وما لبث ان عرف سر تهلله لما رأى هنريتا تجمع امامها خمسين دولارا : ثم تومىء اليه ظافرة هانئة وتذهب الى بريرا فتعطيه ما كسبت خصما من حسابها .

والتفتت بعد ذلك الى لوبين ثم سارت نحوه هاتفة :

ـ مسيو ارتين ! يسرنى ان تحملنى الى منزلى فى سيارتك .

فحياها باسما وقال : هذا ما كنت انوى ان افعله فان لى معك بعض الحديث .

ـ هيا بنا الآن .

وتهادت بهما السيارة تحت ضوء القمر الفضى . ولقيا عند باب المزرعة امراة مكسيكية بدينة بادرت الى السيارة ترحب بسيدتها ، فادرك لوبين انها المراة التى تشرف على شئون دارها . وهبطت هنريتا ثم قالت : اشكر لك هذه الرحلة الجميلة ياعزيزى وبودى لو جئت معى فتشرب قدحا من الجعة .

فوثب لوبين واجاب : لا بأس فان لدى سؤلا أحب أن أوجهه اليك .

ان اسئلتك لا تنتهى . وأراك كالنحلة العاملة لا تمنح نفسها أى قسط من الراحة !

ـ هذا عيبى الذى اعترف به ولكن سؤالى فى هذه المرة بسيط للغاية . اريد ان اعرف أى نوع من الرجال كان زوجك جرانوارث .

واغلقت خلفهما الباب . ثم مضت بزائرها الى غرفة الاستقبال يسبقها عطرها الذكى وقد تبدت عنى وجهها امارات الجد والاهتمام . وبعد ان خلعت معطفها الحريرى مضت الى دولاب صغير وعادت بزجاجة من الجعة المثلجة وقدحين انيقين . واذ ذاك فتحت احدى النوافذ لضوء القمر الفضى وهواء الليل العليل ثم غاصت فى مقعد وثير .

وقالت ان سؤالك يحتاج الى شىء من التفكير لاننى لا اعرف مجرد ما دعانى الى زواج الرجل ، الا اننى كنت فى حالة من الضيق ظننت معها ان الزواج مما يخفف من عناء ما لقى فى منزلى . ولكننى احببته واعتبرت حبى له عاطفة طبيعية تأتى بعد الزواج وظللت احبه حتى تبين لى انه شخص لا يعرف واجبات الزوجية وما تقضيه من امانة واخلاص وكان مع هذا يظن فى نفسه المثل الاعلى للرجال ! والذى لا انكره عليه انه كان مثال رجل الاعمال المجد ولكنه كان سريع السأم والملل .. يبرم بكل شىء الا المقامرة لانها فى ظنه أيسر سبيل الى الغنى السريع . وكانت النتيجة ان

خسر وكدنا لا نجد ما نقتات به لولا همة سكرتيره باردیل وعنايته باشغال رئيسه جرانوارث .

ثم قامت الى النافذة تملا رئتيها من الهواء وقد ارتسمت عليها آيات الشقاء ثم استطردت تقول : كان رجلا ضعيفا شديد العصبية يهتاج لاتفه الاسباب . وكنت اشك فى علاقاته ببعض النساء مما جعلنا نعيش اكثر من ثلاث سنوات كغريبين ، قل ان يتلاقيا . وفجأة حصل على ربع مليون من الدولارات واخبرنى انه سيهبنى مائتى الف دولار يشترى بهما اسهما باسمى لتكون خير سند فى المستقبل .

وخيل لى انه مخلص فى نواياه جاد فى التفكير عن مساويه السابقة ، فحمدت الاقدار وعدت الى حبه والايمان بوفائه وتوبته .

فاشعل لوبين لفافة من التبغ وقال :

— اذا كنت قد شككت من قبل فى علاقاته ببعض السيدات فلماذا ثار مرجل الغضب فى نفسك عندما جاءك ذلك الخطاب الغفل من الامضاء والذى حدثك فيه كاتبه بأن زوجك يحوم حول امرأة اخرى ؟ ولماذا لم يكتب بذلك الى زوجك ويهدده ؟

— الجواب على السؤالين واحد . واذ كان جرانوارث يعلم اننى غفرت له الماضى ولكننى لن اتردد فى طلاقه اذا استجد ما يشككنى فى اخلاصه ولما كان يخشى فكرة الطلاق

فقد ظل يتظاهر لى بالحب والوفاء .. كلا استبعد ان يكون كاتب الخطاب قد هدد زوجى بأن يكتب الى اذا لم يضع حدا لتبذله .. وزاد فى غضبى اننى بادرت احدث جرانوارث فى التليفون ففاجانى بسلاطته وعدم اكتراثه حتى عجبت لتعبيره واقسمت ان يدع تلك المرأة أو اطلقه .

وابتسمت كانما ذكرت شيئا ثم اردفت قائلة :

— كنت كغيرى من النساء اعتقد ان فى وسعى ان اقوم اعوجاجه . ورحت امنى نفسى بذلك الامل واعللها بامكان اصلاحه حتى تاكد لى فشلى وعجزى ..

فضحك لوبين عاليا وقال : يخيل لى انك لم تكونى تحبينه الحب الذى يعاونك على اصلاحه . بل يخيل لى انك كنت تحبين شخصا آخر .

فندت عن صدرها تنهده عميقة وتمتمت : لم احب احدا فى حياتى قبل الآن .

— قبل ان تقابلى مالونى . اليس كذلك ؟

— ليس هذا ما اعنيه . وانما اعنيك انت ..

— انا ؟ هذا شرف عظيم لا استحقه .

— اسخر ما شئت ولكننى لم اجد من الرجال من يستحق ان احبه سواك .

— ومالونى ؟

— لم احبه ولكننى احببت فيه طيبته واستقامته ..

ودانت من لوبين فى ذل ثم غمغمت : لم اجد من يفوقك فى سحرك ومهارتك . واذا احببت ان اوضح لك حقيقة مشاعرى فهاهن ذى ..

وخطت نحوه خطوة أخرى ثم لفت ذراعيها حول عنقه وراحت تقبله فى وجد وشغف . وبهت لوبين !! وخيل له انه فى حلم أو فى مقعد يشاهد قطعة رائعة من التمثيل ولما رأته هنريتا صامتا ساكنا كتمثال بارد عادت الى المنضدة وافرغت له كاسا اخرى ثم عادت بها اليه وفى عينيها ابتسامة مشرقة وهتفت :

— ماذا ؟ هل اخفتك ! ؟ انا أول امرأة فاجأتك بعاطفتها الجارفة ؟

فرجع قدح اجعة ثم قال : انك طفلة كبيرة يا هنريتا اذ تظننى غرا الى هذا الحد .

لقد قابلت كثيرا من السيدات وتذوقت لثملتهن الشهية ولكنك لن تنقذى نفسك بهذا التمثيل ..

فضحكت عاليا وقالت : حسنا . طابت ليلتك . تعال فى المرة القادمة ومعك الاصفاد لتضعها حول يدى .

ثم تركته الى مضجعها واثقة من تأثير قبلتها فى مشاعره

الفصل الثامن

نهض لوبين من نومه فى صباح اليوم التالى مع الشمس المشرقة فاسرع يستحم ويفطر ثم ظل جالسا فى مقعده يستعرض ما مر به من الحوادث وما انقضى من ايام قطعها فى انتقالات ومقابلات واحاديث تدعو الى السأم لولا حادث فرديناند ومحاولته القضاء عليه مما يمكن ان يعد مغامرة طريفة هى كل ما تتذوقه واغتبط له اثناء تلك الايام الخاملة ورأى نفسه امام متناقضات عجيبة حاول فيها ابطال الراوية ان يغرروا به ويسخروا منه . فها هو باردیل يعطف فى أول الامر على هنريتا ويساهدها على تحاشى اسباب الشك والاتهام ثم لا يلبث فجأة ان يحاول اتهامها لانه لم يكن يظن قبل حادث التزوير ان لها يدا فى مقتل زوجها ! وها هو فرديناند يحبها ويطلب اليها ان تتزوجه ثم سرعان ما ينفض يديه منها بعد حادث التزوير والشك فى انها قد قتلت زوجها وهاهى هنريتا اخيرا تتظاهر له « للوبين » بالحب ولا يدرى اتمثل عليه دورا لتوهمه بصدق اخبارها ام انها قد تدلهت به فعلا وبذلك يستطيع ان ينتزع منها الحقيقة بلا مغالطة أو تعن يمه ؟ وماذا يحمل جرانوارث على الانتحار بعد ان اصاب ربع مليون من الدولارات ؟ وهل يقبل العقل ان يقدم على الانتحار — وهو الرجل المستهتر — لان زوجته هددته بالطلاق ؟ ! اما انه حاول الانتحار من قبل فقد كان مخمورا يائسا فلم يدر ماذا فعل . ولا شك كذلك انه كان

حادا فى توبته والا ما اسرع الى التأمين على حياته بمبلغ كبير وارتضى ان يشترط عليه الا يقدم على الانتحار .

بقيت مسألة بوليت بنيتو التى قال عنها فرديناند انها كانت عشيقة جرانوارث .

بقيت مسألة بوليت بنيتو التى قال عنها فرديناند انها فأول ما يتبادر الى الذهن ان دورها ثانوى جدا فى هذا الحادث والا ما تردد باردیل وفرديناند فى ذكرها اثناء التحقيق وهما يحاولان درء كل شبهة عن هنريتا فى أول الامر . ولكن يجب عليه ان يقابلها فلعلها تعرف شيئا عن حقيقة العلاقة بين جرانوارث وزوجته . وعليه قبل ان يرحل الى المكسيك ان يعمل حسابا لما قد يبيت له اثناء هذه الرحلة التى قد يكون فرديناند قد حمله عليها ليغتاله فى طريقه اليها . ولذلك اسرع الى ينابيع النخيل وطلب الى مأمور القسم ان يبعث جندين ليقبضا على هنريتا أولا ثم يذهبا فيقبضا على بريرا وفرديناند ويسوقا الثلاثة الى القسم . وعندما قدمت هنريتا يخفرها الجنديان وشاهدت لوبين جالسا بجوار المأمور وقد امال قبعته على احدى عينيه ابتسمت ساخرة ثم قالت :

ـ يجب ان تخلع قبعتك فى حضرة السيدات يا عزيزى

فتطلع اليها مليا واجاب : لم اعتد ان اخلعها فى حضرة من تتهم بأبشع الجرائم .

ـ اذن فانا مقبوض على ؟

ـ انك متهمة بقتل زوجك وتزييف السندات المالية ومحاولة خداع البنك لصرف قيمتها مع علمك بتزويرها .

ـ يا لك من خنزير سريع النسيان !

ـ لم انس دورك الذى مثلته بالامس . وجاء دورى لالقى عليك وابلا من الاسئلة .

ـ لن اجيب على سؤال واحد قبل ان يحضر محامى

ـ معنى ذلك اننى ابعث بك الى نيويورك ولا اظنك ترغبين فى هذه الرحلة .

ـ كم اود لو كنت رجلا حتى استطيع ان اجلدك !

واخرج لوبين من جيبه قلما ليكتب الاسئلة واجوبتها فرآها تخرج من حقيبتها لفافة من التبغ لتشعلها فصاح بها :

ـ انت هنا فى مكان رسمى وفى معرض الاستجواب فارمى هذه اللفافة .

فتضرج وجهها لاهانته ولكنها اعادت اللفافة الى حقيبتها . وزاد حنقها ان رأته يخرج لنفسه لفافة من صندوقه ويشعلها فى سخرية . وخيل للوبين انها تود فى تلك اللحظة لو تنشب اظفارها فى عنقه فلا تتركه حتى تخنقه . فعاد يقول :

ماذا كنت ترتدين من الملابس الخارجية عندما عدت الى نيويورك من هارتفورد فى ١٣ يناير ؟ ابدئى من القبعة .

ـ لا اظننى اذكر ولكننى ساحاول . ولماذا تكتفى بالملابس الخارجية .

ـ اذكرى الملابس الداخلية ! ؟ اذا كان ذلك يروقك .

ـ يا لك من غوريلا وضيعة !!

وقامت من مقعدها شاحبة بالغضب فصاح بها :

ـ الزامى مكانك ولا تحاولى الاعتداء على المحقق . اجلسى يا عزيزتى الحسناء ولا تغضبى أول من احببت من الرجال .

فجلست تختنق بالغضب لهذه السخرية القاتلة . ومضت دقيقان قبل ان تستطيع ان تقول وهى تضطرب : كنت اضع على رأسى قبعة مخروطية ذات حلية مستديرة من الصدف ، وارتدى معطفا من الصوف الازرق تحته ثوب أسود ذو قميص ابيض . وكانت جواربى رمادية وحذائى من الجلد الاسود اللامع بكعب فرنسى . كما كنت اضع فى يدى قفازين من الجلد الاسود .

ـ يكفى هذا الآن .

وضغط الجرس فظهر جندى . وحسبت هنريتا ان

مهمتها قد انتهت عند هذا الحد فتابطت حقيبتها وهمت بالانصراف ولكن لوبين قال للجندى :

ـ خذ السيدة الى قلم تحقيق الشخصيات وهناك تؤخذ بصمات اصابعها وصورها الشمسية على مختلف الاوضاع .. بالقبعة وبدونها .

دارت الدنيا بهنريتا ومادت الارض تحت قدميها .

وتقدمت نحو لوبين كانما تريد ان تزهق روحه بيديها ولكن الجندى جذبها اليه واردف لوبين قائلا له :

ـ عد بهذا العصفور الجميل بعد ان تنتهى مما أمرتك به .

ثم تطلع بعد جروجهما الى ساعته فوجدها قد تيفت على الثانية عشرة . وبعد ربع ساعة جاء الحارسان بيريرا وفرديناند ، فطلب لوبين ان ينتظرا قليلا فى الردهة الخارجية حتى عاد الاخر بهنريتا الى غرفته واذ ذاك امر ان يجاء بالرجلين فدخلا باديى الدهشة والاضطراب . ولكنه بسم فى وجهيهما وعادهما ان يجلسا امامه ، بينما ظلت هيريتا واقفة فى وسط الحجرة تشتعل بالغيظ والحنق . واخيرا اشار اليها لوبين وقال : دعوتكما بشأن هذه السيدة . ولست املك فى هذه اللحظة دليلا على ادانتها .

ولكن لما كان مستر ميتس مأمور القسم لا يستطيع ان

يحجزها لديه رهن التحقيق لان جميع غرف القسم مشغولة فقد رأيت ان اعرض عليكما ان تبقيا عليها عندكما وان تراقباها حتى لا تفلت . هل لديك مانع يا مستر بريرا .

— كلا يا سيدى .

— اذهبى معهما يا هنريتا وابقى فى فندق ميراندا لبضعة ايام حتى اطلبك وحاذرى ان تبتعدى عن ينابيع النخيل . اسرعى يا عزيزتى حتى تستطيعى ان تدخنى كما تشائين .

فثار غضب هنريتا لسخريته اللاذعة وفحت كافعى قائلة :

— قد يهمك ان تعلم رأيى فيك . انك وقح مغرور وسليط فظ وغوريللا دميمة مهما اوتيت من سلطة وستندم يوما على قحتك وسلاطتك .

وقبل ان يستطيع لوبين ان يتحرك فى مكانه تقدمت منه فجأة وصفعته على وجهه ثم اسرعت الى الخارج . وضحك لوبين لانه عرف كيف يخرجها عن تصنعها فتبدو على حقيقتها بلا تصنع او رياء ، ثم قال لفردیناند .

— انا واثق انها كانت فى سيارة جرانوارث وانها المرأة التى شاهدها الحارس فى تلك الليلة الهائلة ولكننى احتاج الى الدليل القاطع على ذلك . خذ يا فردیناند صورة من

بيان الملابس التى كانت ترتديها اذ ذاك وقل لى هل تذكر انها كانت ترتديها تلك الليلة ؟

فتناول فردیناند نسخة من وصف تلك الملابس ثم قال :

— انا اعرف انها كانت تلبس هذا المعطف وهذه القبعة فى مناسبات كثيرة ولكننى لا اذكر شيئا عن تلك الليلة لاننى كنت فى اجازة فى يوم ١٢ يناير .

— هذا نستطيع معرفته بسهولة من خادمتها التى كانت فى هارتفورد واعدت بنفسها ملابس سيدتها وحقيبتها .

— انا اعرف اين تقيم هذه الخادمة ، ان مارى ما زالت فى نيويورك وهى تخدم الان فى دار مسز جون فلافورد وهى فتاة ذكية لا تنسى شيئا .

— حسنا . وهناك كذلك الحارس . وآمل ان يكون من حدة النظر حيث يستطيع ان يصف لنا ما كانت ترتديه فى ذلك المساء . ولذلك ساذهب الى نيويورك لاقابل الحارس والخادمة وبقى ان اعتذر لك يا فردیناند لاننى اتهمتك بانك حاولت قتلى فى تلك الليلة الاخرى وانا واثق ان الذى اطلق الرصاص لا يبعد ان يكون امرأة .

— شكرا يا سيدى وان كنت اسفا لأن المصائب قد انهالت على هذه المرأة الجميلة .

— كثيرا ما يكمن الشر فى قلوب الحسان . والآن ارجو ان تذكرا جيدا انكما مسئولان عنها .

وعندما خرجا جاء مستر ميتس يحمل الصور الشمسية لهنريتا فابتدره لوبين :

ـ لى عندك رجاءان يا عزيزى . اولهما ان تشيع اننى رحلت الى نيويورك ولن اعود قبل اسبوع . وثانيهما ان تسهر على فندق ميراندا وان تراقب هنريتا مراقبة شديدة .

ـ لك ذلك يا مسيو لوبين وانا معك فى انها قاتلة زوجها .

ـ والآن ساغادرك الى المطار .

ـ استرحل الى نيويورك ؟

ـ كلا يا صديقى وانما الى المكسيك لاقابل احدى السيدات .

اهى جميلة ؟ ـ لا اعلم لاننى لم ارها من قبل .

وامسك بالتليفون يتحدث الى ادارة الأمن فى نيويورك ويبعطيها أوصاف ملابس هنريتا فى يوم ١٢ يناير لتسأل الحارس والخادمة ثم تتركله النتيجة فى قسم ينابيع النخيل . وعاد الى المكتب يقرأ ما كتبته ادارة تحقيق الشخصية تحت صورة هنريتا :

« ارملة جوانوارث الذى انتحر فى ١٢ يناير سنة ١٩٣٦ طولها خمس اقدام ونصف بوصة ، زرقاء العينين ،

بادية الصحة ناحلة القوام ، وتزن ١٣٥ رطلا . وهى مثقفة الى حد كبير » .

ولدهشة مستر ميتس رأى لوبين يقطع صورة هنريتا مما كتب تحتها وقبل ان يصيح بالعجب كان لوبين عند الباب يضحك ملء قلبه ويقول : ساشرح لك كل شىء يا عزيزى المأمور بعد ان اعود من المكسيك .

الفصل التاسع

كان لوبين اثناء رحلته القمرية فى الطائرة يتحرق على مشاهدة بوليت التى جعلت جرانوارث يهمل زوجته الحسناء . وكانت قرية سنونيا تبعد عشرة اميال عن العاصمة المكسيكية ولذلك لم يبلغها الا عندما امست الساعة الثامنة وقد غمرت الحقول ظلمة قاتمة . واستطاع ان ينفح صبيا مكسيكيا ببعض النقود ليدله على مكان بوليت بنيتو فقاده الصبى الى مزرعة صغيرة ثم وقف به امام دار انيقة رغم انها كانت مشيدة على الطراز القديم . وعندما طرق لوبين الباب فتحته فتاة مكسيكية دميمة الخلقه ثم سألته فى غلظه : ماذا تريد ؟

فاجابها فى أدب وابتسام : اريد اقابل السنيورا بوليت .

فزاد سخطها وصاحت : ليست هنا . اسأل عنها فى كاسادورو .

فلم يسع لوبين ان عاد الى الصبى يسأله ان يقوده الى كاسادورو بعد ان اغلقت الفتاة الباب فى وجهيهما . ولما فهم من الصبى ان ذلك الفندق ما زال بعيدا اجر سيارة وراح يخترق بها الشوارع حتى بلغ بناء جميلا احتشدت فى ردهته موائد صغيرة التف حولها قليل من الزوار . وقاده خادم انيق الى غرفة جانبية ارتفعت فى ارجائها انغام القيثارة

الساحرة وغصت بالراقصين والراقصات ، ثم أشار الى راقصة فاتنة بينهم وقال :

- هذه هى السنيورا يا سيدى .

ورأى لوبين امامه امراة طاغية الحسن تتأود اعطافها فى مهارة وفتنة لم يرهما فى امراة من قبل ، فجلس الى احدى الموائد وهو مأخوذ بجمالها ، وشعر بان الانظار قد اتجهت اليه كما تتجه الى شىء غريب يخرج من دار العاديات والاثار ! وجاء اساقى يسأله ماذا يطلب فتمتم : لذتى فى النساء ولكننى اكتفى فى هذه اللحظة بكأس من الجعة .

وراح يرمق الساقى معجبا باناقته وبقامته الممشوقة مما لا يراه الانسان عادة الا فى اكبر الفنادق الفرنسية ! وانحدرت عينا ثانية تلتهمان بوليت الحسناء ، ثم استرعى انتباهه صورة الشر المرتسمة على اسارير زميلها رغم جماله ورشاقته .

وتوقفت الموسيقى فجلس الراقصون الى الموائد المنبثة فى أركان الغرفة الواسعة ومضى لوبين يرسم فى ذهنه الخطة التى يستطيع ان يتحدث بها الى هذه الحسناء ، وأخيرا رآها تبتسم له فلم يتردد فى اقتناص الفرصة السانحة وأسرع الى مائدتها ثم انحنى امامها قائلا : يخيل لى ياسنيورا اننى تعمت بمعرفتك من قبل :

- يخيل لى لذلك ايضا تفضل يا ....

— ارتين لوكاس من فرنسا .

— تفضل يا مسيو ارتين واشرب كاسا من الجعة . هذا سنيور لويس رودلف فجلس لوبين بعد ان انحنى قليلا لزميلها ثم ارسل الساقى ليعد لثلاثتهم اقداحا من الجعة . ولم يطل صمته لأن بوليت سألته وهى بادية السرور والاغتباط :

— أى خدمة استطيع ان اقدمها لك يا مسيو ارتين ؟

فاشعل لوبين لفافة من التبغ وقال : جئت اسألك ما تعلمينه عن مصرع جرانوارث الذى انتحر فى نيويورك منذ شهر تقريبا . ولذلك يحسن ان نعود الى دارك لنكون فى عزلة وهدوء .

— ولكنى لا أحب ان اطرق هذا الموضوع . وكيف اتحدث عن موت رجل الى اناس لا اعرفهم .

— اذن اعود الى نيويورك واطلبك لتشهدى بما تعلمينه

وقبل ان تجيب امتدت يد زميلها على ذراعها وقال :

— دعى لى أمر هذا الرجل الذى لا يليق ان يتهددك .

ثم استدار الى لوبين واردف قائلا فى زهو وقحة :

— اخرج من هنا والا امرت ان يقذفوا بك الى الخارج !

وقرأ لوبين فى اساريره انه لن يتردد فى دعوة الخدم ليطردوه من الفندق فاحب ان يكون البادىء بالهجوم ، ولذلك سرعان ما هوت قبضته على فك الرجل الذى تدحرج من مقعده ثم قام وخنجره فى يده . ولكن لوبين كان أسرع منه اذ أشهر مسدسه فى وجهه وصاح : ثق اننى سالهب رأسك لو اقتربت خطوة واحدة أو اقترب احد لنجدتك !

احست بوليت بدقة الموقف ، فوقفت بين الرجلين وتمتمت :

— لا داعى لثورتك يا لويس . سأذهب قليلا مع مسيو ارتين فانتظرنى هنا .

وخرجت مع لوبين وقد كشر زميلها على انيابه كأنه نمر مفترس ثم ما لبث ان ركبت فى سيارته الى جانبه ، ولاحظ أنها ترنو اليه أثناء الطريق ، وكانت رائحة العطر تفوح من ثيابها منعشة مسكرة فتمتم :

— ما أجمل رائحتك يا بوليت .. كأنك زهرة تفتحت اكمامها !

وسمعها تقول فى الظلمة الغامرة :

— انك عجيب الأعصاب ! صرعت لويس ثم جررتنى وراءك لتخبرنى أن رائتى جميلة !!

— ألم تسمعى فى حياتك بمصارعى الثيران ؟

طبعـا .

— انا واحد منهم وان كنت اميل الى مصارعة الآدميين

— يالك من مخلوق شاذ ! وأنا اغبط نفسى لمعرفتك . .

— شكرا ياسنيورا . وانما أنا الذى اغبط نفسى لهذا الجميال ولهذه النزهة الجمية فى ليلة رائعة .

فتنهدت وليت دون ان تنطق بحـرف . . ولكن لوبين شاهدها تتفرسه فى الظلام وفى عينيها بريق يتحدث بأعجابها السريع به ثم مالبث ان غمغمت سائلة : ما هـذه الضـجة التى تقام حول جرانوارث .

فأجابها وهو يخترق طريقه فى الظلام بحذر :

— سأقص عليك كل شىء عندما نبلغ منزلك . .

ووقفت السيارة امام دارها فاسرعت الخادمة تلقاهما واخذت قبعته ثم تقودهما الى غرفة الى يمين الردهة الواسعة وهناك اشارت اليه بوليت ان يجلس فى مقعد وثير . واختفت لتعود بعد دقيقة وهى تحمل كأسا فى كل من يديها وتقول :

— لنشرب أولا نخب هذا التعارف السـعيد ثم ابدأ قصتك .

فاشعل لوبين لفافة من التبغ لنفسه وأخرى لمضيفته . وراحت تتطلع الى عينيه حتى خيل له انها تعرف عن البرق

اللاسلكى أكثر مما يعرفه ماركونى ! وراح يخبرها وهـو يحتسى من الكأس رشفات بطيئة كأنما يتذوق كل قطرة .

— لقد انتحر جرانوارث فى يناير كما تعلمين . وكـان قد منح زوجته سندات مالية بمبلغ مائتى ألف دولار قبـل موته . فلما اشتدت بها الضائقة بعد ان غدت ارملة أحبت ان ترهن أو تبيع هذه السندات . ولكنها عندما تقدمت بها الى بنك التعاون تبين انها زائفة . وتشاء الاقدار ان اعـلم بهذه الفضيحة وأنا فى لوس انجلوس فابادر الى صديقى مدير البنك واتفق معه على معاونة رجال الامن الامريكى فى اكتشاف سر ذلك التزوير . . وللاسف لم استطع ان أحمل هنريتا على الادلاء بما تعلمه . . وزاد المسألة تعقيدا ان حاول باردیل سكرتير الزوج ان يقنعنى بأنها ليست مسألة انتحار وانما قتل وان الزوجة هى قاتلة زوجها .

فهتفت بوليت مشدوهة وهى لا تزال ترمقه بنظراتها المغـرية :

— يالله ! هل هذا ممكن !

— لا اكتمك اننى شخصيا قد اخذت بهذا الراى وان كان لا يقدم كثيرا أو قليلا فى موضوع التزييف الذى من أجله زججت بنفسى فى هذا التحقيق . . ولما كنت اعلم انك من صديقات جرانوارث لم أتردد فى القـدوم لزيارتك وسؤالك عما تعرفينه عن هنريتا لان الزوج كثيرا ما يكشف لعشيقته

عما يحب ويكره فى زوجته .. ولآن أحب ان تخبرينى هل اعطاها جرانوارث وثائق حقيقية أم دس عليها المزيفة . ذلك يساعدنى كثيرا فى مهمتى ..

فهزت رأسها واجابته : الغالب انك سمعت الكثير مما لا يتفق مع الحقيقة .. ولكنى ساساعدك ما استطعت .. فاصغ الى .. ثق ان هنريتا قد جاءت بهذه المستندات المزيفة من مكان ما وانها كانت تعلم تماما أنها مزيفة لاننى واثقة ان جرانوارث لم يعطها هذه السندات اطلاقا .

— اذن لمن اعطى لسندات التى اشتراها اذا كان لم يعطها لزوجته ؟!

فضجت بوليت فى ضحكة ساخرة وقالت :

— ساخبرك .. لم يعطها لزوجته .. وانما اعطاها لى فارتسمت امارات الحيرة والارتباك على وجهه وغمغم : الك أنت ؟!

— نعم يا صغيرى الساذج ! ولعل من حدثوك بأننى كنت عشيقة جرانوارث لم يذكروا لك اننى كنت أكرهه رغم حبه لى . ولعلها كذلك لم يذكروا لك اننى امرأة متزوجة وان زوجى فى مصحة الطبيب مادرال لانه مصاب بالسل ولايرجى أن يعيش ثلاثة شهور أخرى . وكذلك يجب ان تعلم ان جرانوارث كان سمسارا لزوجى ثم أصبح شريكه فى المضاربة فى الاسواق لمدة لا تقل عن سنتين . وأخيرا أصاب زوجى

الفقر والمرض واوى الى المصحة لينقذ حياته من الخطر . ولكننى اكتشفت فى عيد رأس السنة الماضية ان جرانوارث خدع زوجى وحمله وحده كل الخسائر حتى أودى بكل ثروته بينما ظل هو يضارب الى ان كسب صفقة تقرب من ربع مليون من الدولارات . واذ ذاك لم يبق فى قوس صبرى منزع فسافرت الى نيويورك فى يوم ١٠ يناير أى قبل انتحار جرانوارث بيومين . وهناك بادرت اليه أهدده بتقديم شكوى الى النائب العام اذا لم يغط لعبته ويعوضنا عن خدعته . وادرك جرانوارث اننى جادة فى تهديدى فدعانى فى صبيحة اليوم التالى « ١١ يناير » الى مكتبه حيث اعطانى سندات بمبلغ مئتى ألف دولار بعد ان طلب الى الا اخبر أحدا بذلك لان السندات كانت امام الكثيرين هبة منه لزوجته وهذا أخذت السندات بعد ان اعطيته ايصالا بتسلمها . ومن هذه السندات نتفق أنا وزوجى ، فى هذه الايام .

— هذا يؤدى اعتقادى بان هنريتا قتلت زوجها عندما ادركت زيف تلك اسندات وأنه قد حرمها الاصلية ليفدقها على امرأة أخرى . ولكن الديك من يشهد بصحة روايتك ؟

— طبعا .. يستطيع باردیل ان يشهد بذلك .

— أين المصحة التى يقيم بها زوجك الآن ؟

— على مسافة أربعين ميلا من هنا ... فى قرية « زونا » ولكننى لا أحب ان تضايق زوجى المسكين باسئلتك وهو على حافة الدار الاخرة .

فنهض من مقعده ووضع يده حول ذراعها ثم قال :

ـ لا تنزعجى يا بوليت فللن اضايقه ولن يعدو حديثى معه مجرد التحقق مما سمعته منك عن جرانوارث والوثائق المسجلة .

وشاهد عبراتها تغطى عينيها الجميلتين فأردف قائلا :

ـ هونى عليك يا جميلتى !

ـ الحياة قاسية . ولكننى سأروض النفس على احتمال مرها وصابها . دقيقة واحدة يا مسيو ارتين اذ يجب أن اتحدث الى لويس عن هذه المزرعة . سأشتريها منه لانها تروقنى .

وغادرته الى الغرفة التالية لتتحدث الى لويس فى أمر كان يمكن ارجاؤه الى وقت آخر ولا تتطلب الحاجة ان تسرع الى التحدث اليه وهى تراه فى كل يوم !! ثم عادت تقول : الحق اننى اخطأت بزواجى من « رودى » الذى كان منذ تزوجته ضعيفا هزيلا يشكو من آلام الصدر والرئتين . ولكننى ارجو الا تثقل عليه يا سنيور والا تذكر له انك قابلتنى وفى رفقتى لويس رودلف . اذ لا حاجة الى أن تثير غيرته وهو فى هذه الحالة السيئة وعلى أبواب الابداية .

وتوقفت لحظة ثم استطردت قائلة : كان يجب لمراة مثلى أن تتزوج من رجل فى مثل جمالك وقوتك !

فتغافل لوبين عن غوايتها ثم أستأذن منصرفا بعد ان أخبرته بعنوان المصحة على وجه الدقة .

الفصل العاشر

لم يجد أرسين لوبين ما يدعوه الى التشكك فى صدق رواية هذه الغانية اللعوب اذ لا حاجة بها الى الادعاء بانها أخذت من جرانوارث تلك السندات بطريق الوعيد والتهديد ونجحت فى اعطائه صورة واضحة لزوجة رودى بنيتو الذى يزحف بعلته نحو منيته فى خطوات حثيثة واسعة . ولكنه لم يدر ماذا كانت تفعل مثل هذه المراة أيام كان زوجها يعانى شظف العيش بسبب خداع جراثوارث له ؟ ولماذا لم توقف عشيقها عن خداعه لزوجها الى أن بلغت به العلة مبلغا يتطلب أن يأوى الى مصحة وان يتوافد الاخصائيون على معالجته .

وذكر فى تلك اللحظة الحائرة ان هنريتا قد حدثته عن خطاب جاءها من زوج مخدوع فراح يسأل نفسه لماذا لايكون رودى بنيتو ذلك الزوج وأنه هو الذى محا كلمة « زوجة » وابدلها بكلمتى « امرأة أخرى » لغرض يعلمه ؟ ولماذا لايكون ذلك الجواب هو ما دعا هنريتا الى مقابلة زوجها ؟ دارت بينهما مناقشة عنيفة ختمها الزوج بقوله انه اعطى السندات لتلك المرأة الاخرى الذى يحس الى جانبها بكل سعادة ؟ ولا يبعد اذ ذاك أن يكون الغضب والغيرة قد عصفا بالزوجة فتناولت شيئا صلبا بجوارها فى السيارة ثم أهوت به على راس جرانوارث بكل قوتها . ولما وجدت انها قتلته لم تتردد

فى اخفاء جريمتها بان دفعت السيارة الى رصيف الميناء فكان ان ظهر الحادث بمظهر انتحار !

وكانت السيارة ، أثناء ذلك التفكير الذى استحوذ على لوبين ، تقطع طريقها فى شوارع ضيقة فى مداخلها ، واسعة فى وساطها ، وقد لفها الظلام الحالك فى بردته .

وفجأة شاهد حجرين فى وسط الطريق . وسرعان ما وثب واحد نحوه ثم أهوى على رأسه بشىء جامد جعل النجوم تترافص امام عينيه ! وافاق ليجد نفسه مغطى بالاتربة وتسيل الدماء من جرح فى رقبته . وعندما أراد ان يحرك ساقيه وجد قدميه مربوطتين بحبل قوى بينما شدت يداه الى صدره وقد تسربت الى جسمه رطوبة تشعر بأنه محبوس فى غرفة بالطابق الارضى . ورأى على رف الغرفة المقابلة نور شمعة تحترق فى صمت ، فاستطاع ان يحنى راسه الى ساعته يجدها قد قاربت انتصاف الليل فهو لم يظل فى اغمائه أكثر من ساعة واحدة .

وصحا من ذلك الاغماء ليجد رأسه مصدوعا يكاد ينفجر وقواه واهنة توشك ان تخور ولكنه لم يشأ ان يغمض عينيه ثانية ليستغرق فى سبات عميق يرد اليه قواه ويجدد فيه نشاطه وحيويته . بل اثر ان يبادر الى العمل للخلاص من ذلك الكمين الذى أعده له خصوم دهاة واسعوا الحيلة . وسرعان ما تناهى الى سمعه وقع اقدام تقترب ثم رأى امرأة

بدينة تكتنز باللحم والشحم وقد فتحت عليه باب السجن وهى تحمل فى يديها مصباحا وترتسم على أساريرها دلائل العنف والقساوة .. وفجأة ركلته بقدمها فى وجهه ركلة تطاير لها الشرر من عينيه ثم صاحت به .

ـ أيها الجاسوس القذر ! ان امريكا لا تتسع لفرنسى حقير مثلك .

وقبل ان يفيق من هول هذه الضربة القاسية سكبت عليه الشمطاء دلوا مليئا بالماء القذر فراح ينفض جسمه كعصفور بلله فيض من ميازيب السماء . واحس بالدم يسيل من أنفه وسمع وابلا من سبابها وشتائمها المقزعة دون ان يقوى على الحراك .. وأخيرا دمدمت ساخطة ثم خرجت كالحة الوجه بعد ان تركت المصباح فى ركن من الغرفة ..

ولم يشأ لوبين ان يضيع الوقت هباء فمضى يزحف حتى أصبح المصباح بينه وبين الحائط .. واذ ذاك دفعه بقدميه نحو الجدار ثم ضغطه بكل ما فيهما من قوة حتى تكسر زجاجه. ورأى منه قطعة كبيرة حادة الحواف فتدحرج نحوها على معدته وراح يشحذ عليها الحبل الذى يربط يديه الى ان تقطع وأصبحت ذراعاه طليقتين يحركهما كما يشاء. ولم ينته من تلك المهمة الشاقة الا بعد جهد بالغ لان قطعة الزجاج لم يكن من السهل أن تبقى فى مكان واحد . وعندئذ أخذها وانشأ يقطع الحبل الذى يربط قدميه حتى أطلقها .

وبعد نصف ساعة كان حرا طليقا ولكنه سرعان ماسمع وقع أقدام تقترب من غرفته فجرى خلف الباب ووقف مستعدا لمفاجأة القادم .. لم يكد يفتح الباب حتى كانت قدمه قد أصابت الداخل فى احشائه وجعلته يسقط على الارض يتلوى من الالم .

ولم يشأ لوبين ان يتبين حقيقة ذلك القادم لانه كان منصرفا بكليته الى الهرب والنجاة، فاكتفى بأن رأى فيه رجلا ضخم الجثة غزير الشعر كأنه قرد بدين، ثم أسرع يغلق عليه الباب ويصعد الدرج الى طابق أرضى يؤدى الى غرفة اشبه بالمطبخ وشد ما كان سروره حين شاهد مسدسه ملقى على احدى مناضد تلك الحجرة فأسرع يدسه فى جيبه ثم راح يتطلع حوله ويصغى دون ان يتناهى الى اذنيه أى صوت فادرك ان الشمطاء العجوز قد ذهبت الى رفاقها لتخبرهم كيف اقذات اسيرها الامرين بعد أن قبض عليه ذلك الرجل الذى يتلون الآن من الام معدته ولا يقوى على نطق أو حراك .

وسره ان شاهد سيارته خلف تلك الدار . ولذلك لم تبلغ الساعة الثالثة حتى كان قد بلغ قرية زونا بمزارعها المتناثرة وقد اشراب بينها بناء أبيض تلتف حوله حديقة غناء، ويقطع بلا لشك تلك المصحة التى يقضى فيها رودى بنيتو ايامه الاخيرة .

وهناك اوقف سيارته ثم شرع يطرق الباب فى خفة الى ان فتحه شاب انيق الثياب يرتدى معطفا أبيض وترتسم

علامات الدهشة فى وجهه وهو يرى امامه رجلا ممزق الثياب كأنه خارج من معركة حامية . وابتدره لوبين وسأله : أين السنيور مادرال ؟ ارجو ان اقابله فى مسألة عاجلة مهما كانت حالته ومهما كنا فى ساعة متأخرة من الليل .

فاجابه الشاب فى أدب : حسنا . تفضل يا سنيور .

ورأى لوبين نفسه فى بهو واسع متعدد الابواب فى كل ناحية وقاده الشاب الى الطابق الأول حيث طلب اليه ان يجلس فى مقعد لبضع لحظات . وسرعان ما عاد الشاب ذو المعطف الأبيض ومعه الدكتور مادرال . وهو رجل تعدى الحلقة الخامسة يتكلم الاسبانية فى طلاقة وتغطى صدره لحية مدببة فرحب بلوبين وسأله : أى خدمة يا سنيور ؟

— أنا مندوب احدى شركات التأمين ويهمنى ان اتصل بمستر بنيتو للتحدث اليه فى حادث انتحار جرانوارث ايمز .. وقد قابلت مسز بنيتو فاشارت بضرورة التكلم مع زوجها .

فهز الطبيب كتفيه وقال :

— لا مانع عندى . وسيان كان مستيقظا للان ام غارقا فى النوم .

— ماذا تعنى ؟

— اعنى ان ايامه فى هذا العالم اتت معدودة .. قد لا تعدو شهر . وذلك ارجو ان تحدثه فى هدوء ما امكنك ..

أنتظرني لحظة حتى اذهب واعده لمقابلتك . والافضل ان أعطيه حقنة تعاونه على الكلام والاصغاء اليك .

— شكرا يا ستيور .

ويظل لوبين ينتظر وهو يفكر في غيظ في تلك الركلة التي نالت وجهه من المرأة الشوهاء . ولم يلبث الطبيب ان عاد يدعوه لمقابلة المريض . وسار به في فناء ضيق الى غرفة الى اليسار فتحت نوافذها على مصاريعها ، وفي زاوية منها ستار تحجب فراش العليل عن الانظار . ورأى لوبين امامه رجلا واهنا يناضل عبثا قوة الموت وجبروته . وقرأ الطبيب في عيني لوبين انه يؤثر ان ينفرد بالمريض وقال :

— ساترككما الان وارجو الا تثقل على مستر بنيتو ما استطعت .

وخرج يدلك راحته ، فتقدم لوبين الى الفراش ثم قال في هدوء وبشاشة : اصغ الي يارودي . انا اسف لازعاجك ولكنني مضطر للاستيثاق مما حدثتني به زوجتك بوليت . وهي تحييك وتحملني حبها لك وستأتي في الصباح لزيارتك واخبرتني زوجتك انك اكتشفت اخيرا ان جرانوارث كان يخادعك فاثري وضاعت ثروتك ولذلك مضت اليه زوجتك تخبره بين تعويضك بعض ما خسرت وتقديمه الى المحاكمة . وفهمت منها انها حصلت على سندات بمئتي الف دولار كان قد اشتراها لزوجته فهل هذا صحيح يا رودي ؟

فارتفع صوت المريض في ضعف كانه صادر من اعماق هوة بعيدة الغور :

— هذا حدث . وانا مسرور لأن جرانوارث قتل نفسه .. ولو لم اكن مريضا لاسعدني ان افرغ رصاصي في صدره .

— بقي أن اسألك سؤالا اخر ورجائي الا تنكر ما حدث . لقد تلقت هنريتا — زوجة جرانوارث — خطابا غفلا من الامضاء يذكر فيه كاتبه ان جرانوارث يحوم حول زوجة رجل آخر .. فهل انت ذلك الرجل الاخر ؟ وهل أنت كاتب ذلك الخطاب ؟

ران الصمت لحظة على المريض ثم ادار عينيه في وجه لوبين وقال :

— نعم ، اذ كان يجب ان اعمل شيئا .

— انا لا احب ان اثقل عليك بالحديث ولكنني ارجو ان تخبرني هل صارحت زوجتك بشكوكك ؟

— نعم حدثتها برأيي فيها كامرأة خائنة تلفظ زوجها اذا ادركته الشيخوخة ونال منه الضعف . واتهمتها بانها ساعدت جرانوارث على خداعي وابتزاز أموالي .

— وبماذا اجابت على ثورتك ؟

— وعدتني بان تصلح الامر وانها ستجبر جرانوارث على رد مبلغ كبير مما اختلسه بغشه وتغريره ، وان تقطع

بعد ذلك علاقتها به الى الابد لتعود زوجة شريفة كل هنائها فى اسعاد زوجها الشرعى .

واذ ذاك انتابت المريض نوبة من السعال فاسرع اليه لوبين بكوب من المـاء كان على مائدة صغيرة جوار الفراش . واشرقت اسارير الرجل بالشكر ثم قال فى صوت ضعيف :

— انا رجل ميت يا سيدى ولكنك مسـئول عن اداء مهمتك وكل ما أضرع بها اليك الا تثير موضوع العلاقة الاثمة بين زوجتى وجرانوارث لاننى لا احب ان يعرف الناس انهـا فضلت على خنزيرا قذرا مثل ذلك الرجل .

ثم ابتسم ثانية وقال :

— أرجو لك الصحة التى حرمتها والشباب الذى فقدته والتوفيق العائلى الذى لم اتذوقه فاحس لوبين بالاسى والرثاء لذلك الزوج المنكوب ثم استأذن منه منصرفا . وفى الفنـاء الخارجى لقى الدكتور مادرال فصاح به :

— اصغ الى يا دكتور . لقد حصلت من مستر بنيتو على ما يهمنى من المعلومات ولكننى اريد ان احصل منه على تصريح كتابى بما اعترف به . فهل تعيرنى الة كاتبة وبعض الورق ثم تساعدنى على أن يوقع ذلك الاعتراف .

— بكل سرور يا سنيور . تعال معى .

واخذه الى غرفة فى نهاية الردهة اشبه بعيادة الطبيب ، وفى ركن منها منضدة صغيرة عليها الة كاتبة . وهنـاك

جلس يكتب ما املاه عليه لوبين من حديث المريض وعندما انتهى من كتابته صعد الاثنان الى غرفة المريض . ولم يستطع بنيتو ان يوقع بامضائه الا عد ان امسك الطبيب بيده التى كانت تهتز وتضطرب حتى لا تكاد تستطيع ان تمسك بريشة الكتابة .

وكانت الساعة قد لمفت اذ ذاك الرابعـة والنصف فاسرع لوبين الى سيارته بعد ان دس الاعتراف فى جيبه . واخرج مسدسه ليفحصه ثم اعاده الى جيب معطفه الايمن استعدادا لمـا قد يستجد من الاحداث حتى لا يؤخذ على غرة فى الظـلام . واشرق القمـر بضـوئه الفضى على الزروع المتماوجة فى هدوء . وسارت السيارة تشـق طريقهـا الى فندق كاسادورو حيث ازمع ان يقابل بوليت الضـناء مرة اخـرى .

الفصل الحادى عشر

لم يذهب الى فندق كاسادورو . وانما اثر ان يتسلل أولا الى دار بوليت لعله يعثر فيه على شيء يفيده فى تحقيقه . ولذلك وقف بسيارته فى بقعة مهجورة تبعد عن دارها حوالى ربع ميل . وسمع فجأة صهيل جواد فاقترب منه فى هدوء وحذر حتى بلغ شجرة فى الطريق ربطت اليها اعنه جواد فاحم اصيل ، يعلو صهوته سرج جميل من الجلد والخشب المطعم بالفضة . واستطاع ان يقرأ على لوحة فضية ثبتت فى صدر السرج حرفى « ل ، ر » فادرك ان هذا الجواد للسنيور لويس رودلف عشيق بوليت الحديث وانه بلا شك يتربص فى مكان ما حتى يباغته .

ولمح لوبين على مسيرة مائة ياردة عنقودا من الاشجار الكثيفة يلفها الظلام . فايقن ان لويس ينتظره فى احشائها ، ولذلك راح يزحف على يديه وقدميه حتى اقترب من ذلك الدغل وشاهد ما كان يتوقعه . اذ كان لويس رودلف يجلس على جذع شجرة ضخمة وهو يدخن فى غليون من الخزف وعلى ركبتيه بندقية صغيرة .

وفى لحظة كان لوبين يباغت ذلك الغادر ويهوى بقبضة فولاذية على اذنه كل قوته فتدحرج لويس الى الارض وقد روعته المفاجأة ، وفى اللحظة التالية كان لوبين قد التقط البندقية واشهرها على صاحبها . وعاد لويس الى جلسته

وهو ينفض عن ثيابه ما علق بها من اتربة ، وينظر الى فوهة البندقية فى ابتسامة مغيظة شاحبة ، فجلس لوبين بدوره على حجر مقابل وقال :

— من سوء حظك يا لويس انك لم توص الرجل الذى باغتنى فى طريقى الى زونا بان يقضى على حتى يكفيك مؤونة هذه الهزيمة المنكرة وهذا العناء البغيض . واذا كنت قد ورمت لك اذنك لهذا دين لك على ، بعد ان اوصيت العجوز الشمطاء ان تركلنى فى وجهى بحذائها العتيق .

فعاد لويس يشعل غليونه الذى تحطم بعض اجزائه وقال متظاهرا بالدهشة :

— يبدو لى يا مسيو ارتين انك مخطىء فيما توهمته فلست اعرف شيئا عما وقع لك وأنا هنا فى انتظار أحد أتباعى .

فدس لوبين مسدسه فى جيبه واخرج لفافة من التبغ ثم انحرف جانبا ليشعلها متظاهرا بالغفلة عن رفيقه وعدم تتبع حركاته وسكناته . وخيل للويس ان الفرصة واتته ، فوثب ليركل لوبين فى احشائه بكل ما فى قدمه من قوة واصرار ، ولكن لوبين مد يده فجأة ورفع قدم لويس فى خفة وقوة فوقع الرجل على ظهره ، وسرعان ما كان لوبين فوق خصمه يغمض له عينيه ويقصم له اسنانه ويلوى انفه ويعرك له اذنيه والرجل يصرخ لهول ذلك العبث المؤلم .

وراح لوبين يضحك وهو قابع على صدر خصمه كما يجثم الطائر على فريسته ثم يمضى يداعبها قبل ان يقطعها اربا وينهش جوارحها . ولم يكتف بما نال رودلف جزاء خيانته وغدره بل رفعه عن الارض ثم القى به وسط شجيرات من الشوك ادمت جسمه وجعلته يئن ويتوجع دون ان يقوى على نهوض او حراك .

وعاد لوبين الى الجواد المطهم فقطع اعنته واحزمته الجلدية ثم عاد الى لويس فربطه الى جذع شجرة وارفة واحكم وثاقه ، واذ ذاك ذهب الى دار بوليت ودار حوله ، واخيرا اثر ان يتسلق الى نافذة خلفية يستطيع ان يتسلل منها الى قلب المنزل دون ان يراه أو يحس به انسان . وسرعان ما انفذ خطته ووجد نفسه بعد دقيقة وسط الردهة المضاءة بمصباح كبير . ودلف الى غرفة جانبية بالطابق الاول فشاهد فيها شيئا أشبه بخزانة صغيرة تحتفظ بها صاحبة الدار باوراقها الهامة . لان بابها كانت تخفيه صورة معلقة على الحائط فلا تراه سوى العين الفاحصة والنظرة المتطفلة .

وادرك لوبين ان باب هذه الخزانة المندسة فى الحائط الخشبى ليس مما يحتاج فتحة الى عناء كبير ، فتوجه الى المطبخ على أطراف اصابعه . وهناك وجد مطواة قوية معقوفة فعاد يعالج بها الخزانة . ولم ينقض ربع ساعة أخرى حتى نجح فى فتحها ووجد فى داخلها ثلاثة صناديق بها بعض

الحلى والاوراق ، فلم يحفل بالحلى وانما امتدت يده الى الاوراق ومضى بها تحت المصباح يقرؤها فى انعام واهتمام . واشرقت اساريره عندما وجد تنازلا من رودى نبيتو الى جرانوارث ايمز عن بعض اسهم شركة السكة الحديدية وفى اسفلها وقعت بوليت شاهدة على هذا التنازل . ولم يجد فى الاوراق الاخرى ما يهمه ، فاودع الولى جيبه واعاد ما عداها الى مكانها كما كانت من قبل ، ثم اغلق باب الخزانة وعلق الصورة فوقها .

وكان الفجر قد اوشك على الانبثاق ، وراحت اضواؤه الباهتة تتسلل الى الغرفة فى رفق بعد ان هزمت فلول الظلام . ولمح على منضدة فى الردهة صندوقا صغيرا بدت فيه لفائف التبغ مغرية فأخذ واحدة وراح يدخنها فى لذة وسرور بعد ان تكللت جهوده بالنجاح فى تلك الليلة .. واطلت زجاجة من الوسكى برأسها من دولاب جانبى فاسرع اليها يملأ منها كأسا كبيرة يجرعها فى اغتباط واشتهاء بعد ساعات من الحوادث المرهقة .

ولكن .. سرعان ما استدار حتى رأى بوليت فى فرجة الباب الداخلى وقد ارتدت « بيجاما » كشفت عن تقاسيم جسمها اللدن وفتنتها الرائعة .. وكان شعرها الشقر منسدلا فى اهمال مغر على ظهرها ، والابسامة الساحرة تأتلق على فمها القانى الصغير .. ولكن .. كانت تحمل فى يدها غدارة اشهرتها فى سخرية على لوبين !

لم يكن لوبين قد اكمل احتساء كأسه المترعه فمضى يرشفها على مهل وفى ثبات ادهش المرأة واذهلها ثم هتف : كم انا سعيد بلقائك مرة أخرى يا بوليت !

فاقتربت منه وهى لا تزال مشهرة غدارتها الى صدره ، باسمة فى وجهه ، وقالت متئدة فى حديثها : لماذا لم تدخل من الباب كما يفعل رجال البوليس .

فاجابها وهو يتناول لفافة أخرى من التبغ :

— سأخبرك يا طفلتى . جئت من النافذة لعلنى اعثر على ما يعاوننى ويهمنى ولكنك قاطعتنى . واحب ان اسألك بدورى لماذا لا تضعين هذه الغدارة جانبا ؟

فضجت فى ضحكة ساخرة وقالت :

— لقد حالفتك الريح كثيرا فى هذه الليلة ولكنها تأبى الا ان تعاكسك فى نهايتها ..

— أنا لا احب منظر المرأة المجميلة وهى تمسك بيدها الرشيقة الناعمة الة الموت والدمار .. لماذا اسرعت تحدثين لويس فى التيلفون ولم تتمهلى حتى اغادرك ؟ وعلى فكرة .. قابلت زوجك رودى ثم عدت فقابلت لويس رابضا فى الظلام وعلى ركبتيه بندقية محشوه .. ويؤسفنى اننى اضطررت الى تأديبه كطفل شقى .

— لا يمنع ذلك كله من اننى الآن سيدة الموقف ..

— ولكن أى فائدة لك فى ان تكونى سيدة الموقف ؟ وماذا تنوين عمله بهذه الغدارة التى تنوء بها يدك ؟ اطلقيها اذا كان ذلك فى نيتك .. هيا يا طفلتى ولا تترددى فالوقت من ذهب ..

— اتظن انك ستكون أول من قتل من رجال البوليس فى المكسيك ؟ ساقتلك يا ارتين .. لا لأننى اريد ذلك وانما لانك عنيد تأبى ان تصغى الى ..

— كلى اذان صاغية يا طفلتى .

— اعنى انك تأبى ان تصغى الى امرأة احبتك ، وتأبى الا ان تتعامى عن افتتانها بك ولذلك اثرت هذه المرأة اهون الشرين .

وكانت يد لوبين اذ ذاك فى جيبه الايمن فسدد فوهة مسدسه الى المصباح ثم اطلق عليه رصاصة فحطمه وباتت الردهة فى ظلام فجائى .. وفى نفس اللحظة وثب خلف أحد المقاعد حتى لا يقتل بيد امرأة . ومضت دقيقة لم تطلق فيها بوليت رصاصها فقال لوبين من مخبئه : كان فى وسعى ان الهب رأسك ولكننى لم اشأ ذلك لاننى لا اجد ما يدعونى اليه ، فلماذا تظلين شاهرة غدارتك ؟ ولماذا تصرين على قتلى يا ظبيتى ؟

لم تجب بوليت بحرف فعاد يقول :

ـ لدى شيء صغير اود ان احدثك به قبل ان نتبادل اطلاق الرصاص .

فغمغمت قائلة : حسنا ، هانذا مصغية .. قل واوجز .

ـ ارجو اذا قدر لك ان تقتليني ان تحملى خبر مقتلى الى سيدة فى « اوكلاهوما » ساعطيك الان عنوانها ..

فضحكت هازئة وقالت :

ـ يدهشنى ان يفكر الرجل فى عواطفه وهو على حبل المشنقة !

ـ هذا شأننا معشر الرجال .. نعيش ونموت لعواطفنا .

وتقدم لوبين فى جرأة الى الدولاب ليجرع كأسا اخرى وهو يقول :

ـ اطلقى نارك اذا كنت مازلت مصرة يا طفلتى .

ولكنه كان فى اللحظة التالية جالسا القرفصاء .. وحدث اخر ما كان ينتظره ! فقد اطلقت ثلاث رصاصات فى اتجاه الدولاب . وزحف لوبين حتى اقترب من المرأة القاسية .. وسرعان ما امتدت يده بضربة على ذراعها جعلتها تصيح بالفزع وقد افلتت الغدارة وهوت على الارض فى ركن من الغرفة .. واحست بذراعى لوبين تطوقانها وسمعته يهمس فى اذنها :

ـ كفى كفى يا طفلتى ! هدئى ثائرتك ايتها القاتلة الفاتنة .

فصاحت مرغية : ايها الشيطان ! لقد منحتك الحياة باهمالى .

وكانت تتنفس فى صعوبة فجذبها لوبين الى غرفة صغيرة اضاء مصباحها الكهربائى ثم نظر باسما الى قسمات وجهها الصارمة وقال :

ـ كان يمكن ان تصيبى منى مقتلا وانا احدثك من مخبئى لولا انك لا تحسنين الرماية لحسن الحظ .. وكان فى وسعك ان تنالينى رصاصك بمجرد ان هممت بالانتقال الى الدولاب .. ولكن النساء لا يصلن الى قرار حاسم بالسهولة والسرعة اللتين يصل بهما الرجال . ولو انك فعلت ذلك لاستطعت بمعاونة لويس ان تدفنانى فى أى بقعة من الارض ، ولا أحد يعلم ان ارتين لوكاس قد جاء الى هذه الناحية .

ـ ربما . ولكننى اكون سعيدة لو قدر لى ان اقتلك ثم اذهب الى تلك السيدة وانعى اليها مصرعك .

ـ وهل كنت تجرئين على ان تعلنى انك القاتلة ؟

ـ بلا شك . لقد وجدت رجلا يتلصص فى منزلى حوالى الفجر فاطلقت عليه مسدسى وانا لا ادرى أهو لص أم قاتل .

— أم احد رجال البوليس السرى !

— ليس لادعائك ما يؤكده . ماذا يقطع بانك احد رجال الامن ؟

— قصة جميلة تدل على ذكاء وعراقة فى الدهاء ! اجلسى على هذا المقعد الوثير .

ودفعها فانحدر جزء من بيجامتها عن ساق غاية فى الجمال . ثم تطلعت اليه مشرقة فى دموعها فربت على كتفها وهو لا يدرى الى أى مدى تجيد هذه المرأة الداهية فن التمثيل !! واردفت قائلة : اعطنى كأسا يا ارتين .

فاسرع الى الخارج يلتقط الغدارة ويلقيها من النافذة ثم عاد يحمل كأسا ملاها بخمر قوية فابتسمت فى وجهه وقالت وهى تتظاهر بالاسف :

— لقد اثرت حنقى عندما اخبرتنى انك ذهبت الى رودى . لاننى لا احب ان يتحدث اليه الناس بالعلاقة التى كانت بينى وبين جرانوارث . خاصة وهو يعانى الان سكرات الموت ويجب ان يلقى خالقه راضيا هانئا بما وهبه من نعمة الحياة حتى بلغ اشيخوخة المرذولة . وكان يجب ان يموت وهو يحمل لى فى نفسه أجمل الذكريات . ولنفس السبب اسرعت احدث لويس بان يمنعك من لقاء زوجى .. ولكننى لم اطلب اليه ان يقتلك أو يؤذيك .

وطفرت الدموع من عينيها ثم اطرقت الى الارض مليا وعادت تقول : اقسم لك اننى لم اسع الى قتلك أو ايذائك . انك لا تصدقنى ولكننى اعترف لك اننى احببتك منذ رأيتك واننى انسقت فى حبك الى حد الوله والجنون .

ورنت اليه بعينيها السابحتين فى الدموع ثم هتفت :

— الا ترى يا ارتين ؟ الا ترى اننى احبك ؟

— ارجو ان اصدقك يا قاتلتى الحسناء . علمت من زوجك انه سيموت حانقا عليك لعلاقتك الاثمة بجرانوارث ولانك كنت اثناء حبك له تشتركين فى خداعه ونهبه واختلاس أمواله . أو انك كنت على الاقل تتسترين على جرانوارث .

— لقد ثرت عندما تبين لى ذلك النهب . وهددت جرانوارث اذا لم يرد ما اختلس .

— فعلت ذلك عندما رأيت زوجك يلاحقه الموت . فعلت ذلك لانك ستكونين وريثته فى هذه الأموال المستردة من جرانوارث . ومع ذلك تتظاهرين بانك خائفة لانك زوجك سيموت شقيا بعد ان حدثته بعلاقتك الاثمة !! كان يجدر بك ان تضعى حدا لعلاقتك بعاشقك الجديد لويس رودلف لا ان تتمرغى معه فى حماه اخرى من العار بينما زوجك يلفظ انفاسه الأخيرة .

لم تنطق بوليت بحرف . وراح لوبين يلاحظها كما

يلاحظ حية رقطاء . وعجب لدموع التماسيح التى لا تزال تنهمر من عينيها فقال نافذ الصبر :

ـ تعالى نصعد الى الطابق العلوى لترتدى ملابسك اذ يجب ان نذهب معا الى بعض الاماكن .

فرفعت ذقنها وقالت متحدية :

ـ واذا رفضت ؟ انا مواطنة امريكية لها حقوقها فالى اين تأخذنى ؟ انا فى حاجة الى محام يرافقنى قبل ان انتقل معك خطوة واحدة .

ـ لا تغضبى يا طفلتى ولن يخلصك الف محام من مازقك . ارجو ان تكونى عاقلة حتى لا اضطر الى ارغامك على الاذعان .

وحملها ومضى يرقى بها السلم الى غرفتها وهى تقاوم كطفل عنيد . واخيرا لم يسعها سوى الخضوع فارتدت ثيابها وهبطت معه الى حيث كان قد أخفى سيارته .

ومضى لوبين يسابق الريح خفيةان يكون أحد اعوان لويس رودلف يتربص لمخرجه بعد ان شاهد ما وقع له . ومرا فى طريقهما بالشجرة التى كان لويس رودلف مازال مربوطا اليها . وشاهدته بوليت ولكنها لم تكن تملك غير الابتسام .. ابتسام المرأة التى لا يهمها ما يصيب عشيقها القديم ما دامت فى احضان عشيقها الجديد !! وشرع لوبين

يغنى تارة بالانجليزية وتارة بالفرنسية ، بينما اخلدت بوليت الى الصمت ويداها فى اغلالهما فوق حجرها . واخترقت السيارة عدة ملتويات وانحناءات ، وأخيرا زفرت بوليت زفرة حارة ثم تتمتمت :

ـ اشعل لى لفافة من التبغ يا ارتين .. ارجوك .

فاجابها وهو يدس يده فى جيبه :

ـ حالا .. سندخن معا .

وناولها اللفافة فى فمها فابتسمت وقالت :

ـ أى حق لمخلوق ـ مهما ادعى انه يمثل ادارة الامن ـ ان يضع الاغلال فى يدى امرأة امريكية ؟ وهل يجيز القانون ان تساق الشاهدة مكبلة بالحديد ؟ اما اذا كانت تهمتى اننى حاولت قتلك فقد وجدتك فى منزلى بالليل .

ـ لا يهمنى ان تحاول حسناء قتلى . ولا اخذك معك الان لتكونى شاهدة أو متهمة بقتلى وانما رميت الى ان تتنزه قليلا بعد ان خابت امالك فى قتلى .

ـ اذا كنت نسيت أو لا يهمك ان حاولت قتلك فالى أين تذهب بى الآن ؟

ـ سنذهب الى ينابيع النخيل . واذا وصلنا الى هناك استطعت ان أوجه لك تهمة القتل .

ثم ناولها لفافة اخرى من التبغ واستطرد يقول :

— قتل جرانوارث فى ١٢ يناير فما رأيك ؟

ووقفت السيارة امام مركز البوليس فى الينابيع عندما دقت الساعة الحادية عشرة مساء ، ودخلت بوليت وراء لوبين بعد ان اصلحت شعرها . وابتدر المأمور لوبين قائلا :

— أما زلت فى شك من ان قاتلة جرانوارث هى ... ؟

فقاطعه لوبين باسما :

— بل هذه المرأة يا عزيزى .. هذه قاتلة جرانوارث . ولعل اقامتها هنا ليومين أو ثلاثة كفيلة بان ينطلق لسانها بالاعتراف .

فضغط الجرس مشدوها ثم امر أحد رجال الشرطة ان يقود بوليت الى احدى غرف السجن الى ان يصدر اليه تعليمات أخرى . وكانت بوليت فى وقفتها رائعة الجمال فقالت للمأمور باسمة :

— حسنا . افعلا الآن ما تريدان وساعرف كيف اقيم الدنيا على رأس ادارة الامن كلها يوم تثبت براءتى . وانا الح فى طلب اظنكما تهدمان ابسط القواعد التى كفلها الدستور للشعب الامريكى .

فاجبها لوبين :

— سيحضر لك مستر ميتس محاميا كبيرا فى الصباح .

ولكننا لن نترك لك كثيرا من الوقت لتقصى على محاميك كيف لم تحاولى قتل جرانوارث .

— الى اللقاء .. ولا اظنك يا مسيو ارتين قد صدقت اننى احببتك .

— حاشا لله ! لتتنازل الفاتنة الطاغية الى هذا الدرك ؟

— اسخر ما شئت ايها الابله القذر !

— اطمئنى ايها الزوجة الطاهرة البريئة .

الفصل الثانى عشر

كان لوبين قد ارسل برقية الى نيويورك قبل ان يذهب الى المكسيك . وفيها ذكر لادارة الأمن أوصاف الملابس التى كانت ترتديها هنريتا فى ليلة ١٢ يناير عندما ذهبت الى نيويورك لتقابل زوجها . وطلب ان يتصل بعض رجال البوليس بالخادمة مارى وبحارس الرصيف ويسألهما هل يستطيعان التحقق من ان هذه الاوصاف تنطبق على ملابسها .

وجاءه الرد الى مركز البوليس فسلمه اليه ميتس . وفيما يلى فحواه :

« ردا على برقيتكم اتصلنا بالخادمة مارى وهى تعمل الآن عند جون فلافورد فى نيويورك فاكدت ان هذه الاوصاف تنطبق على بعض الثياب التى حملتها هنريتا معها يوم غادرت هارتفورد الى نيويورك . اما الحارس الليلى لرصيف القطن فقد أكد ان المعطف والقبعة تنطبق اوصافهما على ما كانت ترتديه المرأة التى كانت تسوق سيارة جرانوارث يوم انتحاره » .

فاغتبط لوبين لهذه البرقية ثم استأذن مأمور القسم فى الذهاب الى فندق ميراندا لأن هنريتا قد اوحشته كثيرا ويجب أن يذهب اليها لعلها تغفر له ان حرمها من التدخين أثناء التحقيق معها ..

وهناك لقى بريرا يتحدث فى الردهة الخارجية مع الفتاة التى تحفظ قبعات الزائرين والرواد ، فحياة ايماءة من رأسه ولكن بريرا تقدم اليه هاتفا :

- اهلا بك يا مسيو ارتين ! كل شىء هادىء فى الميدان . اما السنيورا هنريتا ففى غرفة لعب الورق .

فابتسم لوبين وقال له :

- اشكر لك مساعدتك يا بريرا وسارد لك هذه اليد فيما بعد .

- انهم معا : فرديناند ومالونى .. وكلهم . ولكنى ارجو الا تدفع بنسا واحدا ثمنا لمشروب .. كل ما تطلبه على حساب الفندق .

- شكرا .

ووجد فى طريقه غرفة الرقص تكاد تكون خاوية الا من الفرقة العازفة واربعة من الزوار ، غير انه وجد فى حجرة اللعب ما يقرب من اثنى عشر شخصا يلعب نصفهم البوكر على مائدة فى الوسط . وعندما شاهدته هنريتا عبست واولته ظهرها فاقترب منها وقال لها هامسا :

- لا اظنك تضنين بتحية صديقك القديم ارتين ؟

فلم تتلفت اليه وغمغمه :

ـ لقد صارحتك برأيى فيك واشكرك لو تركتنى وشأنى لاننى لا احب رجال البوليس ولا اقيم لهم وزنا .

ـ ستقيمين لهم وزنا عندما يضعون الاغلال حول يديك الجميلتين .

وكان صوت لوبين قد ارتفع بهـذا التهديد فتوقف اللاعبون واصبحوا جميعا انظارا تتطلع اليه والى هنريتا فى دهشة وفضول . واقترب مالونى متجهم الاسارير وخاطب لوبين فى انفعال وحزم :

ـ اذا كانت هنريتا متهمة بشىء فليست هذه طريقة تعامل بها السيدات .

فابتسم لوبين ساخرا وقال :

ـ معك الحق يا صاحبى . ساتبع الطريقة الواجبة

ثم التفت الى فرديناند يقول :

ـ تعام يا فرديناند .. ارجو ان تهبط الى الباب الخارجى بالشرطيين اللذين تجدهما امامه .

فاجابه فرديناند وهو يضع الورق على المائد : حسناء

وخرج على الفور . وعاد مالونى يخاطب لوبين بعد ان تخلى عن تجهمه :

ـ انا لا افهم شيئا يا مسيو ارتين ! اتعنى انك ستلقى القبض على هنريتا ؟

فاجابه فى غير اكتراث :

ـ هذا شأنى الخاص . وفى وسع كل ذى عينين ان يرى انى لم ات هذه المرة لغير القاء القبض على أحد الحاضرين .

وراح يشعل لفافة من التبغ ويتطلع الى الباب حتى فتحه فرديناند وريرا وظهر خلفهما شرطيان ارسلهما ميتس بناء على اتفاق سابق مع لوبين اثناء لقائهما الاخير وتألقت الابتسامة على وجه فرديناند وهو يعبر الغرفة الى مائدة صغيرة ومضى لوبين يتحدث الى هنريتا وسط الجمع المحتشد :

ـ القى عليك القبض يا سيدتى باسم القانون وها هما شرطيان من المقاطعة يمثلان ادارة الامن العام . اما التهمة الموجهة اليك فهى قتل زوجك فى الثانى عشر من فبراير . يضاف الى تلك الجريمة انك حاولت ترويج سندات مزيفة ادعيت ان زوجك تركها لك قبل مقتله .

ثم التفت الى الشرطيين وقال :

خذاها الى مركز بوليس الينابيع .

لم تنبس هنريتا بحرف وانما فر لونها واصبحت شاحبة ترتجف شفتاها بالغضب والخوف والانفعال . وتقدم مالونى نحوها ثم امسك بذراعها وقال يخاطب لوبين :

ـ هذه قسوة وخشونة يا مسيو ارتين وكان يجد ان فقاطعه ساخرا :

الاجدر ان ترافقهما الى مركز البوليس ففى ذلك بعض ما يمثل بطوله الرجل .

ـ سارافقها بلا شك .

وسار مالونى وراء هنريتا والشرطيين ، فاستدار لوبين الى بريرا قائلا :

ـ ارجو ان تخلى هذه الغرفة والبهو الخارجى من الناس لان لى معك ومع فرديناند حديثا طويلا ..

ولم تنقض بضع دقائق حتى كان الفندق على سعته يبالغ الصمت والسكون . واذ ذاك راح لوبين يدخن لفافة من التبغ الى ان عاد بريرا يعلن ان رواد الفندق قد شدوا رحالهم وانصرفوا الى حالهم . ثم دعا لوبين لى غرفته الخاصة بالادارة حيث يستطيعون ثلاثتهم ان يتكلموا ما شاءوا وهم يحتسون بضع زجاجات من الجعة .. فرحب لوبين بالفكرة وسار خلف بريرا وفرديناند الى حجرة انيقة بالغ مدير الفندق فى تزينها وتاثيثها . وتمتم بريرا قائلا :

ـ كنت واثقا انها قاتلة زوجها .. هل كنت فى شك من ذلك يا مسيو ارتين ؟

فهز راسه واجاب :

لم اكن شخصيا اعتقد ان تقدم هذه المرأة الجميلة على تلك الجريمة المروعة ولكننى تلقيت فى هذه الليلة من الادلة ما اثبت ادانتها بما لا يحتمل أى شك .

فقد اكدت الخادمة مارى وحارس رصيف القطن انها كانت ترتدى نفس الملابس التى اقرت بانها كانت ترتديها يوم ذهبت الى نيويورك للقاء زوجها ..

وساله فرديناند :

ـ وموضوع التزييف ؟ اتظنها قد زيفت السندات قبل ان تتقدم بها الى البنك .

ـ كلا وانما استعانت بشخص آخر لا اعرفه الآن ولكننى ارجو ان احملها على الاعتراف باسمه عندما اناقشها فى صبيحة الغد .. ولا احسبها تؤثر الركون الى الصمت فى سجنها ..

فرفع فرديناند كأسه الى شفتيه بادى الاغتباط ثم قال :

ـ الحق اننى آسف لما حاق بهذه السيدة ولا اعتقد انها ستخرج من ذلك المأزق بسهولة .

ووقف الخمر فى حلقه عندما شاهد لوبين يرمقه فى خبث ويسأله :

ـ ولكنك لم تخبرنى لماذا غيرت اسمك بعد موت جرانوارث ومجيئك الى هنا .

غير انه أستطاع ان يزدرد ريقه ويجيب :

ـ ان بريرا صديقى منذ عام عندما كنت سائقا لمستر جرانوارث الذى اعتاد ان يختلف الى هذا الفندق فى اشهر الربيع . اما انى غير اسمى فذلك من حقى وخاصة اذا كان اسمى الحقيقى ثقيلا . ولعلك تعترف معى ان كلمة « فرديناند » اسهل كثيرا واخف على السمع من كلمة « ترميجلو » .

ثم تظاهر بالمرح والابتسام وقال : الديك شيء آخر تحب تستوضحه ؟

ـ نعم . اظنك اخبرتنى انك كنت يوم وفاة جرانوارث فى عطلة ؟

ـ كلا . لم اكن فى عطلة بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة ولكننى استأذنت يومها مخدومى فى بضع ساعات اقضيها فى مكان آخر .

ـ كنت اظنك تستطيع ان تصارحنى بذلك المكان الآخر ومع ذلك فلن اعدم شاهدا يحدثنا بما تؤثر ان تكتمه .

فضحك فرديناند وقال : لن شاهدا بلا شك .. بل عدة شهود لاننى كنت فى تلك الليلة باحدى دور السينما مع مارى الخادمة .

ـ لا تغضب يا فرديناند ولا تزو ما بين حاجبيك هكذا

لاننى يهمنى ان اعرف كيف قضى كل انسان تلك الليلة الرهيبة .

ودق جرس التليفون فى تلك اللحظة فاسرع اليه فرديناند ثم ما لبث ان تطلع الى لوبين وقال : هذا مستر ميتس مأمور البوليس يا سيدى .

وجرى بين المأمور ولوبين الحديث التالى :

ـ اصغ الى يا مسيو ارتين .. سيعقد فى قسم البوليس زواج غريب احببت ان استطلع رأيك فيه قبل التورط الترخيص به .

ـ ماذا تقول يا ميتس ؟ من الذى سيتزوج ولماذا ؟ وما شأنى بمثل هذه الموضوعات ؟ .. كنت احسبك ستحدثنى عن احدى الجرائم أو السرقات !

ـ ان الامر يتعلق بهنريتا ومالونى .. يريدان ان يتزوجا على الفور بدعوى ان المرأة فى حاجة الى رجل يشد ازرها فى ملمتها ويوكل لها محاميا يترافع عن براءتها .

ـ وماذا فعلت ؟

ـ تحدثت الى قاضى المقاطعة فلم يمانع ووعد ان يزورنى بعد نصف ساعة ليجيز ذلك الطلب المشروع ما دامت السيدة رهن التحقيق ولم تثبت ادانتها بعد .

ـ سوف فى الامر حتى الحق بك ولا تدع هذا الزواج يتم بحال من الاحوال .

- حسنا . فهمت .

واستدر لوبين الى فردیناند يسأله :

- اكنت تحب هنريتا عندما طلت اليها ان تتزوجك ؟

فاجابه الرجل فى ايجاز كانما يخشى ان يسرقه الى مصيدة :

- نعم . وكان حبى لها يغلب عليه داعى الشفقة لما اصابها ..

- ولماذا عدت فنفضت يديك منها ؟

- لا نها - كما قررت لك من قبل - اصبحت لا تستحق الرحمة ولا يؤمن جانبها بعد ان اقدمت على تزييف السندات وحاولت التمويه على بنك التعاون .

- اكنت واثقا انها اقدمت على هذه الجريمة ؟

- يكفى ان تكون موضع اشك . ولست شخصيا ممن يرحبون بالمشاكل .

- سترافقنى فى الغد الى نيويورك وسيكون بريرا ثالثنا .

فقاطعه بريرا : لماذا يا سنيور ؟ ان اعمالى لا تسمح لى بمغادرة الفندق ساعة واحدة .

- ستكونان شاهدين فى قضية هنريتا . وسيكون انتقالكما على نفقة الحكومة .

ارجو الا تجادلانى فى امر تقرر . سأراكما فى صبيحة الغد فى ساعة مبكرة .. الى اللقاء ..

وعاد لوبين ينهب الارض بسيارته الى ان ابتعد عن الفندق نصف ميل ووجد شرطيا فى ثوب احد الزراع وقد انزوى تحت شجرة وارفة فدعاه اليه :

- اانت الرجل الذى بعثه ميتس ؟

- نعم يا سيدى .

- اذهب الى فندق ميراندا باسرع ما تستطيع وحاذر ان يراك احد وهناك ارقب الفندق جيدا . وذا حدث ان غادره بريرا وفردیناند فاتبعه واعرف اين ذهب وماذا يفعل .. ولكننى لا اظنهما سيفكران فى الخروج .

- حسنا يا سيدى .

- ساعود اليك بعد ساعة تقريبا وانطلقت السيارة به مرة اخرى .

وكل همه منصرف الى منع ذلك الزواج بما أوتى من قوة وحيلة . وعندما بلغ مركز البوليس أسرع الى غرفة المأمور فرآه جالسا خلف مكتبه ينظره ويدخن فى غليون من الخزف . وابتدره لوبين :

- ما كنت احسب مركز البوليس ينقلب الى مكتب للزواج ! ماذا حدث ؟

- فاجابه ميتس وهو يهز كتفيه ويمط شفتيه :

ـ جاءت هنريتا بادية الانفعال لاتهامها بمقتل زوجها وراحت تندب حظها لانها لا تملك ما تستطيع به ان توكل محاميا عنها فانبرى مالونى لمساعدتها اذا هى قبلت على الفور ان تتزوجه ووجه العجب ان يوافق القاضى على اجراء هذا الزواج ثم يأبى الا أن يحضر بنفسه لتزويجهما !!

ـ هل اتى القاضى ؟

ـ من عشرة دقائق . وهو الآن بالغرفة التالية فتعال نقابله .

ـ وقاد لوبين الى غرفة أنيقة بسيطة الرياش جلس فيها القاضى الى منضدة وعليها زهرية جميلة حوت أجمل الورود والازهار . والى الجانب الآخر من المنضدة جلسات هنريتا ومالونى وخلفهما شرطيان اعتبرتهما النيابة شاهدى زواج .

واغتبط لوبين عندما ادرك ان القاضى لم يعقد قرانهما حتى تلك اللحظة فأخذ مقعده الى جانبه وقال : دقيقة واحدة . ارجو الا يتم هذا الزواج . أنا آسف يا سيدى القاضى على انك غادرت فراشك فى هذه الساعة المتأخرة لتؤدى واجبا قد تبرره الظروف فى عينيك ولكنى ارجوك ان ترجىء على الاقل هذه الزيجة التاعسة .

فانتشاطت هنريتا غضبا وصاحت : بأى حق تمنع شيئا أجازه الدستور ؟ الا يكفيك ان سقتنى الى السجن بتهمتين شنيعتين ؟ دعنى يا سيدى وشأنى . ولا تقف حجر عثرة فى سبيل امرأة تسعى ان يكون لها رجل يسهر على

براءتها وتنقية ما علق بسمعها من ادران اتهاماتك الباطلة . لقد اجاز القاضى والمأمور ذلك الزواج وسيتم برغمك ان لم تشأ .

واردف مالونى قائلا فى ضراعة وابتهال :

ـ الا قلب لك يا مسيو ارتين ؟ لماذا تأبى ان يكون لهنريتا زوج يقف حياته على اسعادها ؟ أى شىء يضيرك فى هذا ؟

واستطردت هنريتا وقد قلبتها دموعها :

ـ لماذا تحقد على امرأة لا تعرف ان تكره مخلوقا ولو أمعن فى ايذائها ؟ اتنتقم منى لاننى سببتك وصفعتك فى ثورة غضب وهياج ؟

واختنقت فى عبراتها فلم تقوى على المضى فى حديثها واستعطافها .. وأحس لوبين بموجة من الرثاء تغطى على مشاعره فربت على كتف المرأة وقال :

ـ اصغوا جميعا الى ، لان ما سأقوله على جانب كبير من الاهمية .. انتبه الى يا سيدى القاضى لتتبدد دهشتك . لم اقبض عليك ياهنريتا لاننى واثق من جريمتك ولكننى حاولت ان احمل بريرا وفرديناند على الاعتقاد باننى فرغت من مهمتى وتوصلت الى معرفة القاتل . والآن سأعود الى فندق ميراندا مرة ثانية وسأرافق بريرا وفرديناند فى الصباح الى نيويورك ليربا بنفسيهما المرأة التى يجب ان تحاكم بتهمة قتلها لزوجك جرانوارث . سيشاهدان بوليت بنينو فى سجنها فى انتظار يوم المحاكمة .

ركض قلب هنريتا بين ضلوعها وغمغمت سائلة :
أواثق ان هذه المراة هى القاتلة ؟

ـ الذى أعلمه انها كانت عشيقة جرانوارث وهى التى كتب اليك زوجها ذلك الخطاب الغفل من الامضاء . ولاشك ان قاتلة جرانوارث احدى امرأتين : اما هذه المراة وأنت يا هنريتا .. ولكننى أكاد أؤمن ببراءتك غير اننى لا استطيع اثباتها الا اذا استطعت أن احمل التذكرى على الشهادة بانه شاهدك تعودين من نيويورك الى هارتفورد فى مساء ١٢ يناير بالقطار الذى غادر المحطة قبل موعد الجريمة بخمس دقائق وحبذا لو عثرت على واحد من ركاب ذلك القطار ليؤيد قصة التذكرى . ولذلك يجب ان تتذكرى جيدا انك عدت الى هارتفور بقطار الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين .

فاشرق وجهها بابتسامة عريضة هانئة وتمتمت :

ـ سأذكر ذلك جيدا وان كنت لا أفهم الكثير مما قلت

ـ حسبى الا يغادر ذاكرتك موعد قيام القطار . اما لماذا منعت زواجك بمالونى فلذلك قصة طويلة نرجئها الى حين عودتى .

الفصل الثالث عشر

كان لوبين مغتبطا لوقوفه فى سبيل ذلك الزواج وهو يرى الهوة الواسعة بين هنريتا وهذا الرجل الذى لا يمكن ان يرقى بحال الى مستواها الخلقى أو الاجتماعى .

كما كان يدرك تماما ان مالونى لا يحب هنريتا ذلك الحب الذى يكفل لهما السعادة واغفال الفوارق الاجتماعية .. وكذلك كان واثقا من ان هنريتا لا تحبه ولكنها رأت ذلك لانها تلتفت حولها فلم تجد لها صديقا واحدا ممن كانت تعتمد عليهم وتقيم لصداقتهم الواهنة كل وزن !

ولقى فى طريقه الى الفندق ذلك الشرطى المتنكر فى ثوب أحد المزارعين فسأله :

ـ ماذا رأيت ؟ هل حاول فرديناند أو بريرا ان يغادر الفندق ؟

فأجابه الشرطى : لا أحد غادر الفندق . ولكن فرديناند خرج الى حظيرة السيارات ثم عاد بسيارة مستر بريرا وأوقفها امام الباب الامامى وما لبث ان شاهدت فرديناند وبريرا يلقيان أشياء فى السيارة من الشرفة امام المدخل .

ـ شكرا .. تستطيع ان تعود الآن الى عملك فى المركز

ثم سار لوبين الى الفندق ليجده فى ظلام ، وقد هجعت كل مظاهر اليقظة فى جميع أرجائه . فتسلل من نافذة الى الطابق الارضى كما فعل من قبل ، ثم راح يزحف فى خفة وهدوء حتى بلغ المخزن الذى عثر فيه على جثة جيروم سيجر

مساعده .. وكان بابه مغلقا بالقفل ولكن لوبين مازال يعالجه حتى فتحه بعد دقائق قليلة . غير انه لم يجد بداخل المزن ما يبعث على الاهتمام سوى ان له بابا داخليا يؤدى الى طريق يفصل الفندق عن حظيرة السيارات .

ولما هم بان يقفل راجعا الى الفناء سمع قهقهة عالية ثم شاهد فردينانند من فرجة الباب وهو يهبط الى الطابق الارضى وفى يده حقيبة صغيرة من الجلد .. ورآه يتجه الى صورة كبيرة معلقة على الحائط ثم مضى يتأملها لحظة حتى وافاه بريرا وعاونه فى رفعها عن الجدار . ولدهشة لوبين شاهد فى مكان الصورة بابا صغيرا ما لبث ان اختفى خلفه فردينانند بينما عاد بريرا الى مكتبه .. وفى اللحظة التالية كان لوبين واقفا امام بريرا وقد أشهر مسدسه . ولكنه كان رغم ذلك لا تزال عيناه على الشرفة حتى لا يباغته فردينانند بعودته .

وظهرت الدهشة على بريرا . وراح العرق البارد يتصبب من جبهته وقد امتقع لونه وفرت الدماء من وجهه فابتدره لوبين :

— اظن هذا المنظر لا يروقك يا بريرا . اعطنى مفتاح هذا الباب .

وسرعان ما امتدت يد بريرا الى جيبه تخرج المفتاح فأخذه لوبين وقال :

سأغلق هذا الباب ونصيحتى ان تظل فى مكانك

الى ان اعود اليك ومضى لوبين الى الشرفة بعد ان اغلق الباب على فردينانند بالمفتاح . وكان لا يشك فى ان الرعب الذى استولى عليه سيمنعه من مجرد التفكير فى محاولة الهرب او الافلات ثم هبط الدرج وهو مازال ممسكا بمسدسه وشاهد ممرا يمد تحت غرفة لعب الورق الى نهاية (الجراج) فمضى يخترقه حتى بلغ بابا خشبيا ركله بقدمه ليجد نفسه فى غرفة أشبه بمخزن حجرى . ولدهشته رأى فردينانند يجمع بعض الاوراق فى حقيبة كبيرة !!

وشاهد فى ركن الغرفة آلتين للطباعة وبضعة صناديق على رفاف ملئت بالقوارير وصفحات من الزجاج . واحس فردينانند بوقع قدمى لوبين فاستدار مبغوتا ولكنه شاهد المسدس مصوبا اليه فلم ينطق بحرف . وصاح به لوبين :

— هون عليك يا عزيزى ولا تضطرنى الى ان الهب رأسك بالرصاص جزاء سعيك وبريرا لقتلى عندما كنت عائد الى ينابيع النخيل .. وكنت واثقا انك أنت الذى أطلقت على بندقيتك ولكننى كنت اعتقد خطأ ان هنريتا وراء ذلك الغدر الدنىء . أرفع يديك والتصق بالحائط الخلفى والا انتقمت منك لقتل مساعدى جيروم سيجر .

فرفع فردينانند يديه واطاع صاغرا وحمى الغضب تلهب جوانحه ثم صاح :

— ماذا ترجو من وراء هذه المهزلة ؟

- الا أحرم الكرسى الكهربائى عميلا طيبا . ادر وجهك الى الحائط والا الهبت سلسلتك الظهرية .

ثم شرع لوبين يتفحص ما فى الصناديق فوجد مئات من السندات المزيفة طبعت كلها على احدى هاتين الآلتين وتحققت بذلك شكوكه فقال :

- لم أكن اظنكما مزورين الى هذا الحد ، ولكننى كنت واثقا انكما ستظهران مخابئكما من كل ما ينهض دليلا على اجرامكما قبل ان ترافقانى الى نيويورك. ولا اظنك ستدعى انك لا تعلم شيئا عن هذه السندات المزيفة وانك لست شريكا لبريرا فى ترويج هذه الاوراق .

وشاهد صندوقا آخر يزخر بالاوراق المالية المزيفة فاستطرد يقول :

- وهذه نقود مزيفة !! فهمت الآن كيف تروجانها بواسطة لاعبى الورق الذين لا يفرقون بعد احتساء الخمر بين الصحيح والزائف منها . فكرة طيبة تعال معى الآن .

ودفعه امامه حتى بلغ مكتب بريرا ففتح بابه بالمفتاح ثم اغلقه خلفهما ثانية .

وهناك امر فرديناند ان يجلس بجانب شريكه وقال :

- كنتما تظنان ان البلة قد بلغ بى حد الاعتقاد فى اجرام هنريتا ولكننى آثرت ان اضحك من ذقنيكما عندما

تظاهرت بالغلب عليها ثم طلبت اليكما ان ترافقانى كشاهدى اثبات . فغمغم بريرا حانقا :

- اذن كنت تخدعنا ايها الشيطان عندما دعوتنا الى مرافقتك كشاهدين !!

- كان شركا ماهرا وقعتما للاسف فى حبائله لانكما اردتما ان تقع امرأة بريئة فى شر اعمالكما الاثمة . وستدفعان ثمن هذه الدناءة غالبا .

ووقف يتطلع اليهما وقد امسك بريرا رأسه بين يديه مستسلما فى ذلة ويأس بينما دس فرديناند يديه فى جيبه وشمخ بأنفه فى قحة واستهتار . ورأى لوبين فى عينيه انه لا يصدق ان يقدر أحد على اثبات جرائمه فعاد يقول :

اصغ الى يافرديناند لتعلم انك مازلت وزملاؤك اغرارا لا تعرفون كيف تسكبون حيلكم وتخفون معالم ما تقترفون من جرائم . لعلك تذكر اننى كتبت قائمة بالملابس التى كانت ترتديها هنريتا يوم الحادثة ثم طلبت من رجال البوليس ان يسألوا الخادمة مارى وحارس الرصيف هل تنطبق هذه الاوصاف على ما رأياه فجاء ردهما مطابقا لها كل المطابقة أظنك تذكر جيدا واننى اعطيتك نسخة من هذه الاوصاف لاننى كنت واثقا ان الخادمة من اعوانك وان حارس الرصيف قد اشترى باردين شريككم ذمته . غير انه فاتك اننى غيرت أوصاف الملابس فى النسخة التى اعطيتها لك ولرجال

البوليس حتى أعرف مبلغ شكى فى علاقة الخادمة والحارس بكما ولحسن الحظ ظهر لى من اتفاقهما على صحة هذه الاوصاف انهما لا يقلان أجراما ولو كانت هنريتا شريكتكما لراجعتما معها هذه الاوصاف على ما اعترفت لى به حتى تتجنبا الوقوع فى هذا الشرك . فما رأيكما فى هذا ؟

لم ينطق فرديناند أو بريرا بحرف فاستطرد لوبين قائلا :

— والذى أحب ان أعرفه الآن منكما قتل رجلى جيروم يجب ان يصارحنى القاتل بجريمته . اما اذا ابيتما سوى الانكار فسأضطر الى تقديمكما معا ولن تضيق بكما كراسى الاعدام .

ثم ملأ كأسا من الجعة وعاد يقول :

— خير لاحدكما ان ينجو بحياته بدل ان تساقا انتما الاثنان الى الاعدام . ولذلك انصح لكما بالتروى والتفكير والا حرمتا العالم شريرين دفعة واحدة .

وجلس فى مقعده ينظر وينتظر . وسمع انات بريرا ورأى عرقه يتصبب غزيرا من جبهته ثم ما لبث ان شاهده يزدرد ريقه ويقول كالمحموم :

— أنا لم أفعل شيئا ولم اقتل أى مخلوق . ولم احمل فى حياتى بندقية .. لم أقتل جيروم أو أى انسان !

فأجابه لوبين : حسنا سأتحدث وسأكتفى منك بان تجيبنى بكلمة « نعم » عندما أكون مصيبا وكل ما اطلبه اليك بعد ذلك ان توقع ذلك الاعتراف فى مركز البوليس .

وتهللت اساريره للانتصار الذى أحرزه ، بينما لايزال المحققون الرسميون من رجال ادارة الامن يؤمنون بان هنريتا هى القاتلة ، ويعجبون لماذا يضيع هذا الفرنسى الهاوى وقته فى أبحاث عقيمة مطولة . ولعلهم لم يدعوه وأبحاثه الا لانهم لم يهتدوا بعد الى المزيف الحقيقى للسندات واخرج من جيبه لفافة من التبغ راح يتذوقها فى لذة واغتباط ثم قال :

— عندما علم باردیل اننى سأشترك فى التحقيق أسرع يكتب اليكما بأوصافى .

وقد عثرت على هذه الوثيقة فى المخزن الذى خلف المشرب حيث قتلتما جيروم .. فقد لحظتما حديثه الطويل معى فى أول مرة قدمت الى هذا الفندق ثم رأيتماه يطلب مغادرة الينابيع الى المكسيك بدعوى انه سمع منى بميراث انحدر اليه عن بعض أقاربه . فلما استودعكما وخرج من هذه الغرفة ثم سار الى الدرج أسرع أحدكما — ولعله فرديناند فاطلق على المنكود رصاص بندقيته فاصابه فى ساقيه . وكان طبيعيا ان يتدحرج جيروم المسكين على الدرج فاسرع القاتل وعاجله برصاصة أخرى أصابت منه مقتلا . وبعد ذلك انحنى فرديناند عليه ورفعه من حبل قميصه الفضى ليحمله على كتفه حيث أودعه أحد صناديق الثلج .

وارتفع صوت بريرا بالبكاء والعويل فتوقف لوبين يسأله .

- أليس هذا مطابقا لما حدث ؟

ولكنه لم يستطع أن يجيب بحرف ، فاكتفى بان اوما برأسه موافقا ، بينما صاح فردیناند كالعاصفة .

أنه يبكى لشفاعة هذا الاتهام .. حاذر يا بريرا ان يحملك هـذا الشيطان على الاعتراف بشيء لم يحـدث على الاطلاق .

فابتسم لوبين ساخرا وقال :

ارجو الا تنسى بهذه السرعة قدرتى على دق عنقـك وتحطيم أضلعك . اصمت أيها الشقى !

ثم التفت الى بريرا وقال :

وهكذا يا بريرا قتل فردیناند مساعدى جيروم فهـل تعرف أين دفنه ؟

- لن تنتزع منـا كلمة واحدة قبل ان يحضر عنا بعض المحامين .

- يالله ! كلكم تأبون الا ان يكون لكم محام يقف الى جانبكم !

وتمتم بريرا : سأخبرك يا سيدى بالصدق . لقد قتل فردیناند مساعدك جيروم خشية ان يكون قد توصـل الى شيء من المعلومات ثم دفن جثته فى نهـاية الجـدار خلف حظيرات السيارات .

وفجأة امتدت يد فردیناند الى درج المكتب الذى امامه واخرج مسدسه افرغ بعض رصاصاته فى صدر بريرا قبل ان يفيق لوبين من دهشـته ولنه كان منصرفا بانتبابه الى اعتراف هذا الرجل. وسقط رأس مدير الفندق على صدره قبل ان يهوى على الارض وصاح القاتل كالمجنون : لن أقتل وحدى ..

ولكنه لم يلبث ان هوى على الارض جثة هامدة بعد ان اصابته رصاصتان من مسـدس لوبين . واسرع لوبين الى التليفون يحدث المأمور بما جرى ويطلب اليه ان يرسل احد الرجال لاخراج جثة جيروم من مكانها خلف حظـيرة السيارات ثم سأله :

- كيف حال بوليت الآن ؟

فاجابه ميتس : أنها لا تكف عن هياجها والحاحها على ان نحضر لها محاميا يقف الى جانبها ويحضر استجوابها .

- اخرجها من السجن وخذها الى غرفة الاستقبال فى منزلك واذا أبت الا المعاندة فأوثق يديها بسوار من الحديد. ولكن لا تدعها تقابل هنريتا أو مالونى قبل ان احضر اليـك بعد نصف ساعة .

- حسـنا .

وخرج لوبين من مكتب بريرا ثم اغلقه خلفه وختمـه بالشمع الاحمر كما يفعل رجال البوليس الرسميون فى مثل هذه الحالات . وبعد خمس دقائق كان يطرق باب منزل

هنريتا فلما لم يجبه أحدا أو تأتى الخادمة لرؤيته ايقن ان المنزل خلو خال ولذلك سرعان ما كان فى غرفة هنريتا يقلب ارجاءها . وأخيرا عثر على حقيبة لها ملاى بالرسائل فراح يتفحصها ويتلو الكثير حتى عثر على خطاب من جرانوارث يبلغ علما ان العمر ويظهر ان هنريتا قد احتفظت به لانه يحتوى على قائمة للكتب التى طلب الى زوجته ان تأتيه بها وبعد ان قرأه دسه فى جيبه وارتفعت عقيرته بغناء المارشلبيز نشيد بلاده القومى .

الفصل الرابع عشر

وفى الساعة الرابعة الا ثلث كان المأمور يدخن غليونه امام مكتبه والى جانبه جلس لوبين يجذب انفاسا من لفافته بينما جلس على اريكة جانبية ومالونى وهنريتا وفى مواجهتهما اتخذت بوليت مقعدا كبيرا وراحت تبتسم فى سخرية كانها تستخف بكل من يرمقونها . وخيم الصمت لحظة على الغرفة الواسعة التى لم يكن يضيئها غير مصباح واحد يلقى ضوءه على وجه بوليت وجعلها تبدو أصغر بكثير من سنها . وكان كل شىء ينطق بأن الجرائم تتأتى من الجنس اللطيف وان الفرنسيين اصاوا كبد الحقيقة عندما قالوا « فتش عن المرأة » خلف كل جريمة مروعة .

وبدد لوبين ذلك الصمت المخيم قائلا :

ـ يؤسفنى يا وليت ان يكون هذا الاجتماع غير قانونى أو نظامى لان محاميك لم يشهده ولكن اطمئنى الى اننى لن اطرح عليك أى سؤال أو اطلب اليك ان تقصى شيئا مما تعلمينه . اما أنت يا هنريتا فاكرر اعتذارى للطريقة التى تبعتها مرغما بحكم الظروف ورغبتى فى اماطة اللثام عن قاتلة جرانوارث ومزيفى السندات . ولحسن الحظ ضد فرديناند وبريرا ان الرواية قد تمت فصولها بالقبض عليهما واتهامك بقتل زوجك وبذلك اتاحا لى ظروف الكشف عن حيلهم فى تزوير السندات وتزييف الاوراق المالية وترويجها فى الاسواق .

ثم مضى يقص عليها كل ما حدث ويكرر لها اعتذاره ، فأشرفت قسماتها وتهللت أساريرها وراحت تعتذر له بدورها عن فظاظتها وخشونتها .. وصاحت وليت بعد ان سقط فى يدها وسمعت بمصرع بريرا وفرديناند .

- والى من توجه تهمة تزييف السندات التى حاولت هنريتا ترويجها ؟

وجابها وهو يتجه الى المامور :

- ان جرانوارث قد اشترك فى تزييف هذه السندات لانه كان على صلة وثقة ببريرا الذى يدير الفندق وله الحق فيه اذا لم تسدد له قيمة الرهن الموقع عليه ، وكانت طريقة برايرا وجرانوارث وفرديناند فى اول الامر ان يزيفوا الاوراق ولا يستطيعوا التفريق بين الزائف والصحيح منها . ثم ما لبثت هذه العصابة ان اتجهت الى تزييف السندات فاتسع نطاقها وشمل باردیل والخادمة مارى وأصبحت الرئاسة لجرانوارث والسر فى هذا الاتجاه الجديد الذى لم يمض عليه غير عام واحد ان التقى جرانوارث بحسناء طاغية الحسن لم يلبث أن تورط فى حبها وتدلهت بحبه رغم شخصيتها القوية وضعف ارادته . أليس كذلك يا بوليت ؟

لم تجب بوليت بحرف ولكنها ضحكت ضحكة جوفاء تغالب بها اضطرابها فعاد لوبين يقول : وعندما علم الزوج بهذه العلاقة الاثمة بين زوجته بوليت وجرانوارث كتب الى هنريتا التى ثارت لكرامتها كزوجة مخلصة .. وكان واجبا على جرانوارث ان يترضى زوجته وان يحملها على ان تغمض

عينيها عن خيانته ، فراح يفكر ويفكر فما يستطيع ان يروى له غلة رغبتها فى الانتقام . واخيرا هدته بوليت الى فكرة طبع سندات مزورة يدعى انه اشتراها وانه كتبها باسم زوجته .. ورمت الى ان تصيب عصفورين بحجر واحد اذ كان زوجها رودى قد طال مرضه الخطر دون ان تعاجله منيته فنفد صبرها على انتظار ثروته وهدتها سليقتها الشريرة الى ان تحمله على شراء سندات كبيرة وبذلك تستطيع ان تدس عليه أوراقا مزيفة لا يستطيع لضعفه ومرضه ان يكشف زيفها . وهكذا تمكنت من سلب زوجها والتمويه على زوجة عشيقها وكل ما حصلا عليه بضع أوراق مزيفة لا قيمة لها .. وسارت الحال على هذا المنوال الى ان شاءت الاقدار ان يشتد المرض على رودى وان يقرر الاطباء انه لن يشفى الا اذا انتقل الى اقليم جاف مثل المكسيك أو قرية زونا فكان طبيعيا ان يدعوا سمسارا ليفحص أوراقه المالية ويقدر ثمنها حسب السوق المالية فى ذلك الوقت . ولكن سرعان ما تبين السمسار زيف هذه الاوراق . وهبطت الصاعقة على قلب المريض لهول الصدمة المروعة وعندما حدث زوجته بما جلبته عليه لم يكن فى وسعها ان تعترف بأنها شريكة فى ذلك التزوير وأسرعت تحدث جرانوارث بما جرى وتطلب اليه ان يسكت زوجها باعادة ماله اليه . واذا كان جرانوارث وعدها باصلاح ما حدث فانه لم يكن صادقا أو جادا فى وعده لسببين :

أولهما أنه كان قد اشترى بذلك المال سندات حقيقية واعتزم ان يتخلى الى الابد عن حياته الملوثة بالتزوير .

ثانيهما أنه بدأ يمل من بوليت ويزهد فى لقائها ويرغب صادقا فى اسعاد زوجته والتأمين على حياته من أجل مستقبلها الذى يجب أن يطمئن الى بوطد دعائمه . ولكن رودى كان يعتقد أن لزوجته بوليت يدا فى ذلك التمويه وانها عاونت عشيقها على اختلاس أمواله فاشتد به المرض وأصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت .

امتقع وجه بوليت واسقط فى يدها ولكنها لم تنطق بحرف فاستطرد لوبين بعد ان اشعل لفافة أخرى من التبغ

— قلت ان رودى كتب الى هنريتا يخبرها ان هناك امرأة أخرى تلعب دورا هاما فى حياة زوجها فكان ان كتبت له ثلاثة خطابات تتوعده بانفجار بركانها ولم تقنع بان يشترى لها اسهما كبيرة باسمها بينما يتمادى مع امرأة أخرى فى مباذلة فقررت ان تذهب اليه فى يوم ١٢ يناير لتضع حدا لهذه العلاقات أو تطلب طلاقها منه . وكان جرانوارث يعلم انها لن تتردد فى ثورتها النفسية عن الاستيلاء على السندات الحقيقية التى اشتراها أخيرا وأودعها خزانته ولذلك أسرع فطبع أخرى زائفة ووضعها فى مكان الحقيقية حتى لا تكون زوجته الغانمة اذا أصرت على الطلاق أو لعل استيلاءها فعلا على السندات يسكن نيران ثائرتها ويهدىء من جاشها فلا تفكر فى التشهير به أو الانتقام منه . وفى نفس الوقت

ورد السندات الحقيقية لرودى بعد ان اكدت له بوليت ان منيته اصبحت على الابواب وان فى سعة ان يحصل على السندات بعد موته . وبقى الآن ان اتحدث من يوم ١٢ يناير وما جرى فيه من افتنان فى الاجرام يعد نوعا طريفا لدقته ومهارته . فى ذلك اليوم كانت بوليت عند زوجها رودى تخبره انها سترد اليه السندات الحقيقية وانها سترغم جرانوارث على ذلك أن تبلغ امره لادارة الامن . وكان رودى فى الحقيقة لا يصدق ان تقدم بوليت على ايذاء عشيقها أو انتزاع السندات الحقيقية منه ولكنه لم يصارحها برأيه وآثر ان ينتظر وان يرى . وكان ذلك اليوم عاصفا على رأس جرانوارث لانه كان اليوم الذى حددته زوجته هنريتا لتلقاه فيه وتسوى معه مشاكلها وتطلع لوبين الى المأمور فرآه يحملق فيه مشدوها كأنما قد نوم تنويما مغنطيسيا .

بينما راحت هنريتا ترنو اليه فى سرور واغتباط بما تسمعه عن زوجها . فى حين غاصت بوليت فى مقعدها واجمة ذاهلة دون ان تغادره عيناها الفاغرتان فى اضطراب وخوف كأنما غدت تمثالا فقد معالم الحياة . واستطرد لوبين ثانية:

— نحن الآن بعد ظهر يوم ١٢ يناير وقد أتت بوليت بالقطار السريع الى نيويورك لتقابل جرانوارث وتأخذ منه السندات الحقيقة التى وعدها ان يردها الى زوجها حتى يوافيه أجله المحتوم . وخلفها جاء رودى بينتو يسعل طوال الطريق ويقاوم مرضه الشديد وقد امتلأ قلبه بالحقد والكراهية لزوجته وعشيقها . ومضى الى فندق هادىء

يستريح فيه ويعد العدة للدور الهائل الذى سيلعبه. فلنتركه الآن قليلا حيث تركناه ولنعد الى وليت التى أسرعت على الفور الى جرانوارث فى مكتبه . ولا يهم ان كان باردیل سكرتيره هناك لو لم يكن فقد طالبت بوليت عشيقها بالوفاء بما وعد مؤكدة له ان أيام زوجها باتت معدودة وان المستقبل لهما وحدهما بعد ذلك . ولم يتردد جرانوارث فى اعطائها السندات بعد ان قص عليها كيف أمر بريرا بتزييف أخرى بقيمتها ليودعها خزانته حتى لا يتسرب الشك الى زوجته . وكانت فرحة بوليت بالغة فجلسا يتذوقان تلك المهزلة ويضحكان لها ملء قلبهما وساقه ماذا يظن زوجته فاعلة فى هذا المساء فأخبرها انه لا يشك فى انها ستهدد بالطلاق اذا لم يقطع علاقته بتلك المرأة الاخرى وانها عد تصر على ان تستولى على السندات المالية واذ ذاك لن يسعه سوق الموافقة واعطائها الاوراق المزيفة التى اعدها .

فضحكت بوليت واستبد بها حب الاستطلاع لمشاهدة ذلك المنظر الطريف بين الزوجين وألحت فى ان تراه عن كثب أو تسمع أذناها ما سيدور بينهما من نقاش حاد وجدال عنيف . ولم يستطع جرانوارث ان يرد بوليت عن رغبتها الملحة فلتفقا على ان تنتظره فى مكتبه حوالى الساعة الثامنة والنصف حتى اذا عاد مع زوجته اتيحت لها فرصة الاستغراق فى الضحك . وهكذا عادت بوليت الى بيتها حيث منحت نفسها كثيرا من الشراب ظنا منها ان ذلك يفيدها بعد ما لقيت فى يومها من عناء السفر وعناء الطريق

وفى تلك الاثناء كان رودى زوجها فى فندقه يشدد من عزيمته ويتغلب على مرضه حتى يقوى على انفاذ خطته بينما كان غريمه جرانوارث جالسا فى مكتبه ينتظر ان تحدثه زوجته بالتليفون ليلتاها فى مكان ما ثم يعودان الى مكتبه ليتحدثا على انفراد ولكن شاءت هنريتا ان يكون لقاؤهما فى مقهى بالمدينة . وهناك تحدثا طويلا بعد ان ازدرد كاسين من الخمر تعاونانه على المقاومة وتزيدان فى شجاعته . ولما شجر بينهما الخلاف وهددها بان يغادر البلاد ويحرمها كل نفقة قد تمنى نفسها بها هزت رأسها ساخرة واخبرته انها تكتفى بقيمة السندات التى كتبها باسمها والتى يجب أن تأخذها معها حتى يبت فى أمر الطلاق .

وفجأة طرق الباب فقام المأمور ليرى من القادم ، ثم عاد ومعه برقيتان فى يده اعطاهما للوبين أحداهما من ادارة الامن فى نيويورك والاخرى من مأمورية قرية زونا فى المكسيك فلم ينتبه لوبين من قراءتهما حتى ابرقت أساريره وتهللت قسمات وجهه بالسرور والارتياح ثم دسهما فى درج امامه وعاد يقول :

— ادركت هنريتا ان زوجها مخمورا فلم تشأ ان تزيد على حديثهما شيئا آخر واستأذنت فى الانصراف ثم أخذت أول قطار يعود الى هارتفورد . وقد شهد التذكرى واحد المسافرين بانها ركبت القطار الذى سافر فى الساعة التاسعة الا عشر دقائق .

ولنعد الآن الى جرانوارث الذى عاد فى سيارته الى

مكتبه حيث كانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف . وكان ينتظر ان ينعم مع عشيقته بضحكات طويلة ساخرة من الزوجة البلهاء التى عادت بالسندات المزيفة . ولكنه عندما صعد الى مكتبه وجد باردیل ينتظره مع بوليت . فراح يقص عليهما وهو يحتسى خمرا أخرى ما جرى بينه وبين هنريتا ومضوا ثلاثتهم يضحكون ويضكون !! وفجأة ظهر رودى بنيتو عند فرجة الباب بعد ان تسمع الى كل ما قالوا ثم تقدم اليهم فى خطى واهنة وقال :

ـ لقد نسى جرانوارث ان يغلق الباب خلفه وبذلك أتاح لى ان ادخل الى هنا وان اسمع قصة حيلهم القذرة الوضيعة . ولكن اللوم كله على بوليت التى تعاون الاشرار على اختلاس زوجها وهتك عرضه وتلويث اسمه فى الاوحال اما أنت يا جرانوارث فلايهمنى ان تعيد الىمالى أو السندات الحقيقية لاننى سأبلغ الامر للبوليس ويكفينى ان اراكم تزجون فى غياهب السجن قبل ان يغمض الموت عينى .

واعمى الخوف والحقد قلب بوليت ، فامتدت يدها الى تمثال من النحاس موضوعا على المائدة والقت به بكل قوتها على رأس زوجها فقتلته .

صرخت بوليت : أنا لم أقتله ! لقد حدث ما قصصته الا واقعة القتل! جرانوارث هو الذى قتله .. قتله بالتمثال

ثم هوت على الارض مغمى عليها ، فرثا اليها لوبين لحظة ثم تمتم :

ـ شكرا لك يا بوليت . هذا ما وددت أن أعلمه .

الفصل الخامس عشر

وتقدم لوبين بحمل بوليت الى مقعد طويل ، فتطلعت اليه بنظرات يشتعل بالحقد والكراهية وتنطق برغبتها فى أزهاق روحه لو استطاعت سبيلا الى ذلك . ولكن لوبين خاطبها فى سخرية : هونى عليك يا كليوباترا لان الهياج والانفعال لا يجديانك نفعا بعد ان سقطت فى المقلاه .

فأجابته وهى تفح كالافعى :

ـ أود لو اقتلك أيها الفرنسى الحقير . ولكن غيرى ستكفل بذلك .

ـ لو استطاع ان ينفذ كل مجرم رغبته فى اصابتى لكان جسمى الآن مملوء بثقوب الرصاص كأنه مصفاه . أهدئى لاننى مازلت أعاملك كسيدة .

ثم التفت الى هنريتا التى تجلت دهشتها البالغة فهتفت :

ـ لقد قلت يا مسيو ارتين ان جرانوارث قتل رودى فماذا حدث بعد ذلك ؟

أنا لا أفهم شيئا ؟ هل انتحر جرانوارث ؟

فابتسم لوبين وقال :

ـ تذكرت بوليت أثناء ذلك ان جرانوارث حاول الانتحار مرة وساءلت نفسها لماذا لا يلبسون جثة رودى ثياب جرانوارث ثم يدفعان السيارة بها الى البحر فيظن الله أقدم على الانتحار مرة أخرى ؟ ولماذا لا تذهب بعد ذلك الى

المكسيك مع عشيقها جرانوارث وتدعي أنه زوجها رودى ؟ وكان هناك وجه واحد للتخوف من سبك هذه الخطة ، فقد خشي المتآمرون ان تقرر هنريتا ان هذه ليست جثة زوجها.

ولذلك اكتفوا بان يقرر باردیل انها جثة جرانوارث والا تبلغ الزوجة خبر انتحار زوجها الا بعد ان توارى الجثة فى التراب . وظن جرانوارث فى هذه الفكرة جوهرة ثمينة وان كل ما عليه لينجو بحياته ان يغادر نيويورك الى لمد لا يعرفه فيه أحد فيكون فى مأمن من اعتقاله . ويكون كذلك قد تخلص من هنريتا ومن مضايقاتها عندما تعرف أن السندات التى أخذتها منه مزيفة . والواقع انه كان يصدر فى كل افعاله بارجاء من بوليت وبارشادها فخلع ملابسه على رودى الذى بحجمه وقامته ثم شوهوا وجه حتى اضاعوا معالمه ودسوا ورقة فى جيبه تقطع بعزم جرانوارث على الانتحار . وطلبت بوليت ان أتخذ الجثة فى السيارة حتى يظن من روا هنريتا فى تلك الليلة أنها كانت معه قبل ان تدفعه حمقها الى الانتحار وقد انفذت اقتراحها فى مهارة تدل على دهاء واستعداد فطرى للاجرام . ولكنها فوجئت بوجود حارس الرصيف وهى تحرك السيارة نحو البحر بعد ان هبطت منها فاسرعت بالعودة الى جرانوارث وباردیل لتحدثهما بمخاوفها. واتفقوا على ان يذهب باردیل لارشائه ثم قسموا السندات الحقيقية بينهم بعد ان خصوا فردیناند والخادمة والسائل بجزء يسيل اللعاب . وعندما رحلوا الى المكسيك كانت بوليت مازالت تخشى ان يتعرف أحد على جرانوارث ولكنها ما لبثت ان وفقت فى اغراء الطبيب مادرال حتى قبل ان يأخذ

جرانوارث الى عيادته وان يغير له معالم وجهه بعمليات جراحية دقيقة . والذين يعرفون جشع هذا الطبيب لا يعجبون لاقدامه هذا تحت اغراء المال الكثير » .

صفقت هنريتا مغتبطة عندما انتهى لوبين من قصته فابتسم وقال :

— بقى ان اخبركم ان الخادمة والساقى وفردیناند اجمعوا على الا يقولوا شيئا عن عودة هنريتا الى نيويورك فى تلك الليلة لان باردیل اثر الا يثير ما قد يبعث على الشك فى بوليت . ولم يقنع باردیل بان يدير مكتب سيدة لان الطمع والجشع اهم واظهر طبائعه ، ولذلك عندما عثر فى يوم على (بوليصة تأمين) بمبلغ مائتى الف دولار تدفع لورثة جرانوارث على شريطة الا يقدم على الانتحار ، فكر فى ان يستغل الخطابات التى كتبتها هنريتا لزوجها تتهده بحيث تتهم بقتله . وبذلك يتسنى الحصول على المبلغ من شركة التأمين التى من واجبها ان تعطى بريرا قيمة الرهن الموقع منه على الفندق .

وهكذا اسرع يرسل فردیناند الى فندق ميراندا ليتفق مع بريرا على هذه الخطة ثم راح يغرى هنريتا بان تركن فى محنتها الى هذا الفندق ولجأ باردیل بعد ذلك الى الانتظار لانه كان يعلم ان هنريتا تشيد بصائقتا ستلجأ الى رهن السندات أو بعها ، فاذا كشف زيفها وجاء احد رجال الامن لتفتيش غرفة هنريتا استطاع فردیناند ان يضع الخطابات الثلاثة فى مكان ظاهر فيعثر عليها المحقق وتنقلب بذلك دفة التحقيق .

وبينما كنت اهم بالاشتراك فى تحقيق سر تلك الاوراق التى ثبت زيفها جاءنى من باردیل خطاب يلفتنى فيه الى مكان رسائل فى غرفة هنريتا بالينابيع . حتى اذا ذهبت الى هناك ووجدتها رحلت الى فندق ميراندا تحت اغراء بريرا وفردیناند اسرعت الى نبش غرفتها والعثور على الرسائل الثلاث . وكان باردیل يعلم اننى قد اعرف انه كاتب الخطاب الغفل من الامضاء فاخترع قصة تزيد موقف هنريتا حرجا . فقد اخبرنى انه كان يفضل ان يحفظ الزوجة من الاوقاويل عندما يعرف ان زوجها انتحر تحت ثورة من تهديدها ولكنه لا يحتمل ان يخفى ما يعلمه بعد ان تشكك فى ان تكون قاتلة زوجها . ولما كان المحقق فى الجرائم يترقب ما يتردى فيه المجرمون عادة من اخطاء توقعهم فى الشراك ، فقد ظالت انتظر وارقب بعين ساهرة . فلما تبين لى ان فردیناند كان سائقا لجرانوارث ورأيت الجميع يحاولون الصاق التهمة بهنريتا حتى تهمة قتل مساعدى جيروم ، ورحت افكر وافكر فيما يدفع هؤلاء الى تغيير خطتهم نحوها ، وهم الذين حرصوا فى أول الامر على الا تتطرق اسمها بادرة من الشك !!

وثانى غلطة تورط فيها فردیناند ان حدثنى بامر بوليت اعتقادا منه الا احد يستطيع ان يعرف جرانوارث بعد ان غيرت الجراح معالم وجهه ولم يكن يظننى ساغنى بالذهاب الى المكسيك . وقد غير رأيه فى زواجه بهنريتا بعد ان رأى من صالح شركائه ان يدعى انه قد زهد بعد تلوث اسمها واصبحت متهمة بالتزوير والتزييف !!

ولامعن فى تضليل فردیناند وبريرا وباردیل اعلنت اننى ذاهب الى نيويورك بينما كانت رحلتى الى المكسيك . وقد ارتكب بوليت خطأ فاحشا عندما تحدثت الى لويس رودلف ان يقتلنى اثناء ذهابى للقاء زوجها فى قرية زونا ولكن تشاء رحمة الاقدار ان انجو ابلغ الصحة لارى ما بعثنى على فى الضحك !

فلقد شاهدت خلف احدى الستائر سلة للمهملات فى قاعها منفضة للسجاير بها اكثر من ستين « عقبا » فادركت ان المريض كثير التدخين الى حد الافراط وانه اخفى هذه المنفضة قبل ان يؤذن لى بالدخول . وهذا بطبيعة الحال لا يتأتى من مريض بالشك يعانى سكرات الموت وينتظر موته بين لحظة وأخرى . وبذلك ادركت لماذا حاولت بوليت ان يعترضى رودلف ويسعى الى قتلى قبل ان ابلغ المصحة ويساورنى الشك فى ان المريض هو رودى زوجها الذى يخطو الى الغبر فى خطوات واسعة .

وعندما غادرت حجرة المريض طلبت الى الطبيب ان يوقع رودى على اعترافه لى ، وهكذا استطعت ان اقارن امضاءه بامضاء لرودى استطعت ان احصل عليها فى تنازل له على بعض السندات ، وادركت الفارق الكبير بينهما ، والليلة دخلت الى حجرة هنريتا وقارنت امضاء المريض وتأكد لى وجه الشبه الكبير بينهما فلم يبق عندى مجال للشك فى ان المريض هو جرانوارث بلحمه ودمه .

وتطلع لوبين الى بوليت فرآها متكئة بظهرها الى

المقعد كانما تحشى ان تخونها قواها على التجلد والتماسك وقد غمرت فيه عيناها وبانت فيها بوادر النوبة التى تتحاشى ان تطغى عليها . والتقط لوبين احدى البرقيتين ثم قال لها :

ـ هذه برقية من نيويورك اظنك تودين الاصغاء الى ما جاء فيها من ان البوليس قد القى القبض على باردیل ومارى وان الاول قد اعترف بكل شيء مما يجعل جلوسك على الكرسى الكهربائى امرا لا مهرب له .

تتألقت الابتسامة فى ركنى شفتيها وتمتمت :

ـ لقد انتصرت على ، وكنت اعتقد انك كغيرك من رجال الامن الذين خوف رؤوسهم . ومن سوء الحظ ان تشترك فى تحقيق هذا الحادث ولا نحفل بامرك عندما علمنا بانك احد الهواة المشغوفين بالابحاث الاجرامية .

وصحت هنريتا مضطربة :

ـ اذن فزوجى جرانوارث ليس ميتا !! ايعيش الان فى المكسيك ؟ اننى .. فقاطعها لوبين قائلا : دقيقة واحدة يا عزيزتى . اخشى ان تكون فى جعبتى صدمة لك . سأقرا عليك البرقية التالية :

« بناء على رغبة مسيو ارتين لوكاس المبلغة لنا عن طريق ادارة الامن ارسلنا بعض الرجال يقبضوا على المواطن جرانوارث آيمر المعروف باسم رودى بنيتو ، وعلى الطبيب الاسبانى مادرال فى قرية زونا ولكنهم اضطروا الى قتلهما عندما قاوما القبض القبض عليهما بالقوة فصرخت

هنريتا ودفنت راسها فى يديها وهى تنتحب وتنشج فى بكائها فربت لوبين على كتفها وقال : هونى عليك يا سيدتى . هذه خاتمة طبيعية بل هكذا كان يجب ان تختم هذه المأساة .

خذها فى عربتك يا ملونى وعد بها الى المنزل .

فنهضت هنريتا تاتلق الدموع فى عينها ثم ذهبت مع مالونى الى سيارته بينما امتد يد لوبين الى درج المكتب واخرج سوارا من الفولاذ غلل به برليت الحسناء وهو يقول

ـ القى القبض عليك يا سيدتى بتهمة قتلك لزوجك رودى بنيتو والاشتراك فى تزييف السندات والاوراق المالية ومن حسن الحظ ان لم اكن زوجا وخاصة لامراة على شاكلتك

فتمتمت : كنت احب ان تكون زوجى لاضع لك فى طعامك سم الفئران .

ـ حسنا ، ما كنت لاتردد اذ ذاك عن التهامه بسرور

ومضت تنظر اليه شزرا وهى بين الشرطيين فى سبيلها الى السجن .. ومضى ميتس يخبر لوبين انه ارسل رجاله الى فندق ميراندا لينبشوا عن جثة مساعده جيروم وفجأة تذكر شيئا هاما فصاح : سالحق بهنريتا . يجب ان تحصل على التأمين من الشركة لان زوجها لم ينتحر وانما قتله رجال البوليس .

وعندما بلغ دارها وجد مالونى يغادرها فهتف : الى اين يا مالونى .

فوقف قليلا وقال : ساذهب الى فلوريدا حيث اجد امراة ترضى أن تتزوجنى ـ وهنريتا ؟

- اعترفت لى بانها تعتبرنى اخا لها وانها تاسف لانها لا تستطيع ان تتزوجنى .

- الى اللقاء اذن .

وصعد لوبين الدرج يزف الى هنريتا فكرته فرحبت به ودعته الى الافطار معها بعد ليلة حاشدة بالمتاعب والمباهج ثم قلت :

- يسرنى ان يستطيع فرنسى مثلك ان يأتى بما لم ياته الامريكيون فى عالم الابحاث الجنائية . سيظل اسمك يا سيدى محفورا فى قلبى الى الابد .

فضحك لوبين وقال : اذن يجب ان تعرفى اسمى الحقيقى . اذكرى ارسين لوبين .

- ارسين لوبين ؟ ! اللص الفرنسى الظريف ؟

- هكذا شاء العالم ان يعدنى لصا ولا اظنك اخذة بهذه الخاطئة بعد ذلك .

- كلا . كلا . انا مدينة لك ببراءتى وسعادتى ورد حقوقى .

- ليظل اسمى سرا بيننا الى اسبوع آخر على الاقل .

- كما تشاء يا سيدى .. باركك الله وسدد خطاك .

تمت